خلافة أبي بكر الصديق

11–13 هـ / 632–634 م بين التطبيق والنظرية

عامر نجيب موسى بركات

خلافة أبي بكر الصديق

11-13 هـ / 632-634 م بين التطبيق والنظرية

عامر نجيب موسى بركات

طباعة وتجليد : مركز حنين للخدمات – رام الله

شباط / 2018

المقدمة

كانت الهجرة نقطة فاصلة نحو بناء الدولة في الإسلام ، إذ أدرك الرسول أن انتشار الدين يحتاج إلى قوة سياسية تسانده ، متخذا من الرابطة العقائدية أساسا لوحدتها وتماسكها ، وتحويل المسلمين إلى أمة تخضع لقيادة مركزية متمثلة بشخصه ، خاصة أن جميع المسلمين في المدينة قد سلموا بعبقريته السياسية والتنظيمية منذ وطئت أقدامه المدينة المنورة .

أصبح الرسول القائد الأوحد للمسلمين بلا منازع ، وانعدم أي تفكير في خلافته، ولم يطلب منه المسلمون أية جزئية تتعلق في طبيعة النظام السياسي في حالة غيابه ، واكتفى المسلمون بالمبادىء العامة التي قررتها مسيرته المتمثلة بضرورة تحقيق المساواة والعدالة في المجتمع .

كانت صدمة الغياب المفاجىء للرسول قد مست جميع أفراد الأمة ، فاتجهوا منذ اللحظة الأولى للبحث عن شخصية تكمل ما بدأ الرسول منذ ثلاثة وعشرين عاما ، بعد أن اكتشفوا عدم وجود نظام سلمي لانتقال السلطة في القرآن أو في أحاديث الرسول ، وأن الفترة الجديدة لا تعترف بحق عائلي أو قبلي ، بل بحق الجماعة فقط في تقرير من سيخلف الرسول وكيف ؟ .

خلافة أبي بكر الصديق 11-13 هـ / 632-634 م

بين التطبيق والنظرية

في ربيع الأول من عام 11هـ / 632 م كان للقدر كلمته إذ اختطف الموت فجاة أعظم شخصية في تاريخ المسلمين ، ومن دون سابق إنذار ، وهومحمد بن عبدالله (صلى الله عليه وسلم) ، الذي كان غيابه بالنسبة للمسلمين فقدا لرمز الوحدة والمبادىء والقيادة العظمى المجمع عليها ، كما مثل فقدا للأب الروحي للجماعة الإسلامية المتكونة في زمن قياسي ، وبعبارة أبسط فقدت هذه الجماعة مثلها الأعلى، الذي ما زالت تشعر بضرورة وأهمية بقائه للحفاظ على تماسكها ، ومع أن الموت نجح في تغييبه جسديا ، فقد حافظت فكرته وأعماله على خلوده معنويا وماديا، لأنها أصبحت السنة المرشدة لملايين الأتباع الذين يسعون للاقتداء به ، وتمثل صفاته حتى وقتنا الحالي ، بعد أن أصبح أتباعه ثاني أكبر جماعة دينية على وجه الأرض .

اعتاد المؤرخون المسلمون على تقسيم تاريخ دعوة الرسول إلى فترتين رئيستينأطلق على الاولى الفترة المكية أو الدعوية ، التي اعتمد فيها الرسول على طرح عدد من المبادىء والنظم الإصلاحية للجوانب المختلفة من حياة المجتمع المكي ، وقد انحصرت أساسا في دعوة أهل قريش إلى دين مكمل ومتمم للرسالات السماوية السابقة ، دون إظهار أي تطلع لبناء جماعة عسكرية منظمة نظرا لعدم توفر الظروف لذلك ، بينما الثانية فهي الفترة المدنية – الدولة وفيها حصل التحول الملحوظ للرسول

كان اجتماع السقيفة أول خطوة نحو بناء نظام سياسي يتلاءم مع الجماعات المختلفة في المدينة ، وأنه لا بد من البحث عن شخصية تستطيع توحيد الجماعة الإسلامية كما فعل الرسول ، مع تأكد الجماعة الإسلامية أن تعويض النبي الدعوي السياسي ليس ممكنا بل مستحيلا ، ولكن البحث عن مرشح يستطيع تحقيق أعلى درجة من التوافق والقبول بينهم ، فكان انتخاب ابي بكر هو الحل ، وبالفعل تمكن من الإمساك بزمام السلطة وقيادة المجتمع نحو بر الأمان ، وإعادة القوة والاعتبار للجماعة الإسلامية قبل ان تنقسم الى مجموعات تتناحر على السلطة ، وكما فعل ذلك في حياته فقد تمكن من فعل ذلك قبل مماته حين أعاد السلطة الى احدى الأيدي الأمينة على الأمة ، عندما قرر نقلها إلى عمر بن الخطاب ، مرسخا مبدأ أن الحاكم يجب أن يُختار على أسس إسلامية قبل أن تكون قبلية .

إن اختيار العنوان الخلافة بين التطبيق والنظرية ينبع من هذه الزاوية ، حيث لم يكن للمسلمين تجربة راسخة ولا مؤسسات ولا نظرية يمكن البناء عليها ، مما جعل التطبيق العملي لممارسة السلطة هو منبع النظرية السياسية في الإسلام ، والتي اطلق عليها مصطلح الخلافة ، ولذا فإنني سأبحث في الدور الذي رسخته فترة ابي بكر في تقرير نظرية الخلافة عند المسلمين والذي ما زال حتى وقتنا الحاضر أهم نموذج لنظرية الحكم الصحيحة في الإسلام .

من مجرد داعية الى رجل سياسة ودولة في الوقت نفسه ، وليس أدل على ذلك من تحويل المدينة الى دار هجرة للمؤمنين بالعقيدة الجديدة ، وكتابة دستور المدينة ، لتنظيم العلاقات البينية بين افراد الجماعة الناشئة ، ومع مواطني المدينة من اليهود ، بالاضافة الى تلك النظم الاقتصادية والولاة والعمال والحروب التي خاضها في هذه الفترة ، وقدرته على توحيد الجزيرة العربية في إطار الاسلام السياسي لا العقائدي ، فليس كل من أسلم في هذه الفترة كان مؤمنا ومستوعبا للعقيدة كما في الفترة الاولى ، فقد دخل قسم كبير إما خوفا أو مصلحة من هذه القوة ، خاصة بعد فتح مكة عام 8هـ / 630 م ، وكذلك ما رأيناه من حركة الردة بعد وفاة الرسول ، تحت عنوان رفض السلطة السياسية لقريش ، لأكبر دليل على ذلك .

تشترك كلتا الفترتين بعدد من الأمور ، أولها ان الفكرة صانعة للإنسان والحضارة ، ولكن بدون اداتها القوة ، تبقى خاوية لا قيمة لها ، ويصعب انتشارها وسيطرتها ، فقد استطاع الرسول في عشر سنوات باستخدامه للقوة أن يحقق نتائج فاقت إطارها الزماني والمكاني ، ونتائج الفترة الاولى في الوقت نفسه ، فعلى سبيل المثال لم يستطع الرسول في الفترة المكية أن يخرج من إطار ايمان عدد محدود من الأفراد في داخل مكة ، ولكن الفترة التي استخدم فيها القوة ، أي المدنية استطاع توحيد الجزيرة العربية تحت سلطته وقيادته ، كما تمكن من تضخيم الجماعة الاسلامية بشكل ملفت للنظر، فمن ثلاثمئة وثلاثة عشر مقاتلا في معركة بدر 2 هـ / 634 م إلى ثلاثين ألف مقاتل في معركة تبوك 9هـ / 631 م ، أي مئة ضعف مما كانت عليه ، ولذلك فإن الفكرة غالبا ما تتراوح مكانها ما لم تتزاوج مع قوة السلاح ، إذ لا يمكن

لأية فكرة أن تنتشر وتتمدد دون القوة ، كما لا يمكن لأي مصلح أو نبي أو مفكر ، أن ينشر فكره دون قوة عسكرية تحمي أفكاره وتتبناها ، وهذا ما حصل مع الرسول عندما تبنى الأنصار فكرته وأخرجوها الى دائرة الانتشار ، بعد أن بقيت حبيسة داخل الإطار المكي الضيق لما يقرب من ثلاثة عشر عاما ، وبذلك ترك الرسول في النهاية جماعة إسلامية مؤمنة بعالمية الدعوة التي جاء بها . وبأن السبيل إلى نشرها واستمرارها هو الجهاد والقتال لكن دون اكراه لمغلوب على اعتناق فكر الغالب .

الأمر المهم الثاني التأكيد على أن الفرد هو أساس البناء لأية أمة أو مجتمع ، وهو خالق الفكر وصانعه ، فليس كل ما نزل بالقرآن جاء من الله كأوامر مباشرة ، بل إن جزءا كبيرا منه كان تأييدا من الله لما قام به المجتمع ، من إقرار لمبدأ معين ، أو تشريع لفعل اجتماعي ، أو تأييد لحلول توصل إليها أفراد الجماعة ، خاصة إذا ما كان ذلك التشريع متوافقا مع مبادىء الإسلام ومصلحة الجماعة في الوقت نفسه ، وهذا ما جعل الدين يدور في إطارين ، الأول خاص يعالج مشكلات تحدث في المجتمع في فترة النزول ، بناء على المصلحة العامة للأفراد ، وعدم تدخل القوى الغيبية إلا عندما يعجز الأفراد عن التوصل الى حل لتلك المشكلة ، والثاني إطار عام إذ يطرح الدين أطرا عامة لعلاج مشاكل المجتمع ، ويترك التفصيلات والإجراءات للأفراد في البحث عن طرق للتوصل إلى ذلك ، لأن أهم صفة للفرد والمجتمع التغير والتطور بين فترة وأخرى ، وكذلك الحفاظ على مجموعة من الثوابت الأساسية كالعقائد والعبادات ، والسماح للمؤمن بالتحرك بحرية في إطار ما يعرف بالمعاملات أو النص نفسه ، وبذلك فالاجتهاد جائز في نص وغير نص في الوقت نفسه .

الأمر الآخر إدراك الرسول أن الدين قوة تحرير لطاقة الأفراد ، لا قوة اخضاع وسيطرة وتكبيل ، فالنصوص تأتي لخدمة الفرد والمجتمع لا لتحويلهما إلى عبيد لها ، ولذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يفصل في كثير من جوانب حياته بين الديني والسياسي ، فالدين مبادىء ومثل وأخلاق بينما السياسة مصالح ، وفن ممكن ، ووسيلة للبقاء والاستمرار ، والحفاظ على الجماعة ، فلذلك لم يتورع الرسول عن القول بأن الحرب خدعة ومكيدة ، وأن الناس أدرى بشؤون دنياها ، وأن السياسة تجيز استرضاء جماعة المؤلفة قلوبهم بالمال ، من أجل تثبيت ايمانهم واتقاء شرهم ، ومن باب أن دفع الضرر أولى من جلب المنفعة ، وأن الشورى ركن من أركان الحياة السياسية ، وأن ليس كل أعماله وحياً يوحى ، وأن الدعوة إلى الوسطية مبدأ رئيس في جميع أعمال الجماعة ، وضرورة الفصل بين الإلهي والبشري " فما كان من أمر دينكم فلي ، وما كان من أمر دنياكم فلكم ، فما أنا إلا بشر "[1] ، كما أن القرآن لم يأت بنصوص تحدد طبيعة النظام السياسي ، وكيفية انتقال السلطة من حاكم إلى آخر بطريقة سلمية ، ولا مبادىء تتعلق بالثورة على الحاكم ، ولعل ذلك يعود إلى عدم مواجهة المسلمين لأزمة قيادة في فترة الرسول ، إذ كان الإجماع تاما على قيادته .

تضاربت مواقف المسلمين من حدث وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين الرفض والتصديق ، وقد أثر ذلك على مواقف الجماعات المختلفة داخل الجماعة الإسلامية ، حيث تبلورت في ثلاثة اتجاهات ، تمركزت حول كل من أبي بكر والعباس بن عبد الطلب عم الرسول اللذين توقعا وفاة الرسول ، فتذكر الرواية الاولى أن الرسول سأل المسلمين عن عبد خيره الله بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة وجوار

ربه فاختار الحياة الآخرة ، وأن أبا بكر أخذ بالبكاء لإدراكه أن الرسول إنما ينعي نفسه ، ولكن الشيء المؤكد أن أبا بكر لم يتوقع وفاة الرسول بتلك السرعة ، لأن الرسول قد شعر بالتعافي يوم الوفاة ، حيث خرج للمسلمين عند صلاة الصبح ، مما دفع أبا بكر إلى الذهاب إلى منزله بمنطقة السنح خارج المدينة ، أما الشخصية الثانية فكان العباس الذي تنسب الرواية إدعاءه بمعرفة وجوه آل عبد المطلب عند الوفاة ، مما دفعه إلى محاولة تشجيع علي للحصول على عهد من الرسول بخلافة بني هاشم له ، لكن عليا رفض خوفا من رفض الرسول للعهد إليه ، وتخوفا من أن يصبح هذا الرفض مسوغا للجماعة الإسلامية بمنع بني هاشم من تسلم الخلافة فيما بعد وإلى الأبد ، وكذلك أية شرعية لآل البيت في السلطة .

الشيء الملفت للنظر في هاتين الروايتين أنهما تعكسان حالة من الإسقاط التاريخي للأحداث فيما بعد ، بسبب الصراع بين السنة والشيعة على منصب الخلافة، وكذلك كانت الرواية حول أبي بكر لتوضيح القدرة التي تمتع بها في التعامل مع حدث الوفاة ، بينما الثانية فإنها تعكس تبرير عدم موافقة الجماعة الإسلامية على تسليم السلطة للهاشميين وأن الرسول والهاشميين أدركوا منذ اللحظة الاولى أن الحق في الخلافة ليس عائليا، وفقا للمبادىء والقيم الإسلامية والقبلية معا ، وإنما تخضع لرغبة الجماعة واختيارها .

أما الفئة الثانية فمثلت جمهور المسلمين من الصحابة الذين رفضوا خبر الوفاة، لأن الرسول ما زال صغير السن ، وبسبب التخوف الكبير من أثر غياب الشخصية المركزية الموحدة للجماعة في تلك الفترة الحرجة ، وقد تمثلت وجهة النظر هذه بعدد من الصحابة ، كعمر بن الخطاب الذي هدد كل من يذكر أن الرسول قد مات ، وأكد أنه سيعود بعد أربعين يوما كما عاد موسى عليه السلام ، وسوف يقتل كل من ادعى ذلك[2] ،ولعل السبب في وضع هذه الرواية هو اعتقاد المسلمين أن الرسول لن يموت إلا بعد أن يدبر أمرهم ، بمعنى أن يضع طريقة واضحة المعالم لطبيعة النظام السياسي في الإسلام ، متناسين أن الرسول ليس إلا بشراً ، وأن للأمة والجماعة حق احتكار وإدارة الأمور السياسية في المستقبل ، فالخلافة ليست ركنا من أركان الدين . وكذلك لإدراك الرسول أن المستقبل غامض غير معروف له ، فهو لم يدع ولو للحظة واحدة قدرته على العلم بالغيب .

تحتل جماعة الانصار وهي الفئة الثالثة أهمية كبيرة في هذا الجانب ، والتي يبدو انها قد توقعت وفاة الرسول منذ اللحظة الاولى ، خاصة أن الرسول قد مرض في بيئتهم التي كانوا يعرفون طبيعة الامراض القاتلة فيها مثل الملاريا – كما يعتقد حاليا– وهو ما يفسر سرعة إجتماع الأنصار للسيطرة على الخلافة منذ لحظة الوفاة ، وقبل أن يكفن الرسول أو يدفن .

إن الحقيقة المؤكدة لدى أهل السنة ، أن الرسول مات فجأة دون أية وصاية لأحد من بعده [3] ، واكتفاؤه ببعض الإشارات والتلميحات دون التصريح المباشر لأبي بكر حسب اعتقاد البعض [4]، وقد تم تعليل ذلك بأن الرسول إبن عصره [5] ، وبإدراكه التام لقوة الشعور القبلي الذي لا يعترف بالوراثة في نظمه السياسية البدائية ، ولذلك رأى ترك أفراد الجماعة –القبيلة – ومنحهم الحرية التامة لاختيار ممثليهم ،لأن الأمة هي الأعلم والأدرى بشؤونها الدنيوية ، بعد أن أكد لهم تملكه القرار الأولي والنهائي في القضايا العقائدية فقط [6]، وأن السياسة لا تدخل في هذا الباب وترك الحق للأمة في تقرير شكل النظام السياسي الأفضل والأنسب وفقا لظروفها ، بالإضافة إلى تخوف الرسول من أن أي إجراء قد يتخذه سيصبح للمسلمين بمثابة سنة واجبة الاتباع ، وأن الخروج عنها يدخل الأمة في دائرة المعصية . كما أن الرسول هدف من وراء ذلك التأكيد للأمة أنه ليس عالما بالغيب ، ولا توجد سوى رواية واحدة تنسب للحسن البصري وتقطع على أنه كان قد استخلف أبا بكر[7] ، وهي كما يبدو محاولة لشرعنة خلافة أبي بكر للرد على الشيعة الذين قالوا بالوصية لعلي ، وبذلك فإن كل ما ورد عن الرسول من أحاديث حول الخلافة تصبح في دائرة الشك ، لأن هذا النظام لم يكن في زمانه أصلا ، بل جاء بعد وفاته ، ولأن الرسول لم يواجه مشكلة خلافته أصلا ، وهو ما يؤيده القرآن الذي لم يتطرق إلى هذه المسألة في آياته .

إن ما بين ثلاث إلى ست ساعات على أكثر تقدير من وفاة الرسول قد أدت إلى أخطر وأهم اجتماع في حياة المسلمين منذ ذلك التاريخ وحتى وقتنا الحالي ، حيث ما زالت هذه الساعات تلعب دورا في حياة كثير من المفكرين المسلمين ، وفي حياة

الكثير من الاحزاب الدينية السياسية الحالية في صياغتها لطبيعة النظام السياسي الذي لا بد أن يسود في المجتمعات الإسلامية ، مما يؤكد من جانب آخر على أهمية التاريخ وضرورة فهمه ، لأنه مهما فعلنا يبقى عنصرا فاعلا في الحاضر الذي نعيشه سواء رضينا أم أبينا. ولذلك أرى من الضرورة الإجابة عن الاسئلة التالية:- ما هو هذا الاجتماع ؟ وكيف تم ؟ وما هي أهم نتائجه وإفرازاته التي كان لها الدور الأول في بنية الفكر السياسي في الإسلام ، التي جعلت من النظرية السياسية في الإسلام انعكاسا للتجربة العملية أصلا .

إن ما يلفت النظر في الإجتماع تلك السرعة التي عقد فيها ، وهي تعبر عن أمرين الأول تخوف الانصار من قوة المهاجرين ، ومن قيام المهاجرين بالسيطرة على مدينتهم وعلى السلطة السياسية ، بعد أن أدركوا قوة عصبيتهم ، وهو ما تعبر عنه الرواية التي ترى أن الرسول قد أوصى المهاجرين بالإحسان إلى الأنصار والتجاوز عن مسيئهم وإكرام كريمهم [8] ، ورد فعل الأنصار الذي تمثل بتأكيدهم على أن المدينة مدينتهم ، وأن بإمكانهم السيطرة عليها بسهولة ، إذا ما تمالكوا أنفسهم ووحدوا جهودهم ، ومن ثم طرد المهاجرين منها إذا ما اقتضى الأمر ذلك [9] ، ويبدو أن جذور هذا التنافس يعود إلى كون الأنصار وأهل المدينة ، كانوا قبل الاسلام يحاولون منافسة مكة في السيطرة على الجزيرة العربية، وعلى التجارة بها، وأنهم رأوا في انتقال الرسول إليهم منذ البداية محاولة لتحقيق هذا الهدف ، فبايعوه ونقلوه إليهم، ولكنهم أدركوا بعد وفاته وبعد إسلام مكة أن القرشيين مازالوا يحتفظون بقوتهم ومكانتهم داخل الجزيرة ، وأن كل ما فعلوه لن يحقق لهم هذا الطموح الآن ، بل على

العكس من ذلك فالمهاجرون الآن هم القوة المسيطرة في المدينة . والأمر الثاني أن التفكير بخلافة الرسول أمر وارد في ذهن المسلمين حتى قبل وفاته ، فهاهم يجتمعون في لحظة الوفاة، ويحاول كل واحد أن يعدد الميزات التي تؤهله للسلطة ، مع إدراكهم أن العامل الأساسي في تقرير السلطة في الإسلام ناتج عن الصراع بين القيم الجديدة التي طرحها الإسلام والقيم القبلية التراثية القديمة .

تتحدث الروايات أن بداية الاجتماع والمبادرة كانت من جهة الأنصار، وأنهم بدأوا بالحديث عن أن لا أحد سوف يجرؤ على خلافهم، وأن بإمكانهم اخضاع المسلمين إذا ما توحدوا في مواقفهم وآرائهم ، فهم "أهل العز والثروة والعدد والمنعة والتجربة وذوو البأس والنجدة "، والناس ينظرون إلى ما سوف يفعلون ويسلكون في هذه المسألة [10] ، وإن المهاجرين ليسوا سوى جماعة صغيرة هاجرت إليهم وأخذت بالاستعلاء والترفع عليهم ، كما أكدوا على ضرورة عدم السماح للمهاجرين بانتزاع الأمر منهم ، لأن بإمكانهم إخضاعهم إذا ما توحدوا [11]، ولكن عندما انضم إليهم المهاجرون أخذ الاجتماع عند ذلك طابعا جدليا ، ركز على حجج كل طرف في الحصول على السلطة ، فقد رأى الأنصار بأنهم أهل السابقة في الإسلام ، وأن لهم دورا رئيسا في خدمة الإسلام ، ففي الوقت الذي بقي الرسول لفترة طويلة يدعو قومه للايمان ، لم يؤمن به إلا رجال قلائل ، ما كانوا يقدرون على حماية الرسول ولا حتى حماية أنفسهم ، ولكنهم عندما آمنوا بالدعوة هاجر إليهم الرسول فمنعوه وأعزوا الإسلام بالجهاد ، حتى استطاعوا أن يخضعوا العرب لهذا الدين الجديد بالقوة حينا وبالدعوة والسلام حينا آخر [12] ، وهم أهل النصرة ومن آوى المسلمين والمهاجرين،

وأن الله لم يعبد علانية لأول مرة إلا في مدينتهم ، وأن مدينتهم أول مكان بنيت فيها المساجد ، وأقيمت فيها صلاة الجماعة ، وأنهم أهل العز والعدد ، ومن شاطر المسلمين والمهاجرين بيوتهم وواسوهم عندما هاجروا إلى المدينة بكل ما استطاعوا ، وفضلوهم في بعض الأحيان على أنفسهم [13] .

أما المهاجرون الذين مثلهم أبو بكر الصديق فقد أ خذوا بالتأكيد على أحقيتهم بناء على عدد من الجوانب ، يأتي على رأسها الدور الحاسم الذي لعبوه في بداية الإسلام وخدمته ، فهم أول من آمن بالله وبالرسول ، وأول من عبد الله على الأرض ، وبالرغم من قلة عددهم وعداء جماعتهم وقومهم لهم ، إلا أن ذلك لم يؤثر فيهم أو يفت من عزيمتهم ، كما عذبوا واضطهدوا وصودرت أموالهم ، وهجروا الأوطان هربا بدينهم وحفاظا عليه[14]، وهم عشيرة الرسول وجماعته، وأن العرب لن ترضى أن تُؤمر إلا من كانت النبوة فيهم ، وقريش كذلك أوسط العرب نسبا ، فهم يرتبطون بصلات نسب بأبناء القبائل العربية ، فلا يوجد قبيلة إلا ولقريش فيها ولادة ، ولذلك فهم الأقدر على صيانة وحدة الأمة والسيطرة عليها ، وكذلك الأجدر بقيادة هذه الجماعة [15] ، وقريش أصبح الناس وجوها ، وأفضلهم لسانا ولغة ، فبلهجتهم نزل القرآن ، والناس تبع لهم [16] ، وأن الله قد سماهم في كتابه الصادقين بينما سمى الأنصار المفلحين ، وأمر الله الأنصار أن يكونوا معهم [17] لقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " [18] .

أخذ النقاش بعد ذلك اتجاها آخر، تمحور حول فكرة اقتسام السلطة عن طريق الحكم المشترك أو تداول السلطة ، وقد نبعت الفكرة إما من تراث الأنصار قبل الإسلام حيث اعتادوا على أن يكون أميرا من الأوس وأميرا من الخزرج كما يبدو ، أو لأن الرسول عندما كان يعين أميرا من المهاجرين يقرن معه أميرا من الأنصار [19] ، أو لأنها الوسيلة لضمان العدالة وعدم الاستبداد ، فإذا ما زاغ المهاجر في خلافته قبض على يده الأنصاري وكذلك العكس [20] ، في حين رأى آخرون بأنه التخوف من المستقبل ، وأن المهاجرين الحاليين لا خوف منهم، فقد عاشروا الأنصار وارتبطوا معهم بعلاقات جيدة ، بينما الجيل التالي قد لا يرى أي فضل للأنصار أو لا يهتم بالمحافظة على مكانتهم ورعاية شؤونهم والحفاظ على حقوقهم ومكاسبهم [21] ، وبالتالي التخوف من أن يستغل المهاجرون السلطة وسيلة للثأر من الأنصار الذين قتلوا عددا من أبنائهم في المعارك الاولى كبدر، وأحد ، والخندق ، بقولهم " إنا نخاف أن يليها أقوام قتلنا آباءهم واخوتهم" [22] ، ولكنها في الحقيقة تعبير عن ذلك الصراع القبلي بين الأنصار أنفسهم، فعندما رأى الأوس أن الخزرج قد يتسلموا السلطة رأوا ان فكرة طرح اقتسام الخلافة قد تقضي على طموحهم ، كما أنها انعكاس لحالة الفوضى وانعدام وحدة الرأي لدى الأنصار ، حتى أن البعض أشار إلى أن فكرة اقتسام الإمارة كانت موجودة وتم تداولها قبل تحرك المهاجرين نحو الاجتماع ، وأن أخبار ذلك الطرح قد وصل إلى مسامع الصديق قبل وصوله ، وبأن أفضل طرح لديهم هو اقتسام الإمارة ، مما مكن أبا بكر والمهاجرين في النهاية من التعامل مع الموضوع بكياسة وبحنكة سياسية عالية ، عندما اعتبروها بأنها وسيلة للقضاء على وحدة الجماعة وشق صفوف المسلمين ، وأنه لا

يليق بالجماعة التي خدمت الإســـلام وناصرته منذ اللحظة الاولى ، أن تكون أول من سيؤدي إلى شق عصا الجماعة وإضعافها [23] .

نجح أبو بكر ببراعة فائقة في استغلال حالة الانقسام الداخلي بين الأنصار ، ولكنه في الوقت نفسه لم يقر بأن هذا الدور يمنحهم حق القبض على السلطة ، إذ سرعان ما امتص هيجان الأنصار بطرح فكرة " منا الأمراء ومنكم الوزراء " [24] ، لا يقطع أي أمر يتعلق بالجماعة دون استشارتكم [25] ، وهو من وجهة نظره ينسجم مع القرآن الذي يشير في إحدى آياته " لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ " [26] والآية التي تصف المهاجرين بالصديقين والأنصار بالمفلحين ، وبذلك جعلت الأنصار في مرتبة ثانية بعد المهاجرين ، بالإضافة إلى ذلك التراث العربي الذي يؤكد على أنه لا يجتمع سيفان في غمد واحد [27]، أو لا يجتمع اثنان في قرن [28]، وبذلك نجح المهاجرون في وأد الفكرة في مهدها ، واستغلالها في القضاء على طموح الأنصار ، والتاكيد على أن خلافة الرسول والدولة ليست حكومة خاصة بجماعة أو فئة أو عائلة معينة ، بل إن الخليفة يعد ممثلا لجميع المسلمين ولكل من اعتنق الإسلام .

استغل المهاجرون بعد ذلك العامل القبلي في إدارة النقاش إلى صالحهم ، بالتأكيد على ضرورة حصر الخلافة في قبيلة الرسول ، دون التأكيد على الناحية العائلية أو على أقرب بطن من الرسول ، فالقرشيون أولياء الرسول وعشيرته، وكل من ينازعهم

يرتكب إثما ويحيد عن الحق[29] ، "ولأن العرب لن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، لأنهم أوسط العرب نسبا ودارا " [30] ""فلا تصلح إلا لرجل من قريش ، ولن ترضى العرب إلا به ، ولن تعرف العرب الإمارة إلا له ، ولن تصلح إلا عليه "[31] ، ثم العمل على ترسيخ فكرة قرشية الخلافة ،لأنهم الأحق بميراث الرسول، فقد نسب البعض إلى أبي بكر احتجاجه بقول الرسول " الأئمة من قريش " [32] ، وفي حديث آخر " قريش ولاة هذا الأمر، وبر الناس تابع لبرهم ، وفاجرهم تابع لفاجرهم"، وأن سعد بن عبادة الخزرجي قد سمع هذا الحديث من الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه قد اقر بذلك عندما ذكره أبو بكر به [33] ، وحديث الخلافة في قريش والحكم في الأنصار ، لأن الأنصار هم فقهاء وعلماء ومشرعين يستشارون في كل عمل بسبب امتلاكهم للحكمة والفقه [34] ، وهكذا نجح القرشيون في السيطرة على الخلافة ، وإقرار أحقية قريش بالسلطة على حساب الآخرين وإقرار الأنصار في النهاية بأحقية القرشيين .

ويمكن تعليل قوة فكرة قرشية الخلافة في تلك الفترة بتخوف الأنصار من انقسام المسلمين ، واقتناع بعض شخصياتهم بأحقية قريش بوراثة الرسول، فهاهو بشير بن سعد يقتنع بأن " محمدا رجل من قريش ، وقومه أحق به ، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الامر أبدا ، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم " [35]، بينما يرى آخرون بأنه الخوف من أن يقوم القرشيون بالارتداد عن الإسلام ، وأنهم لم يتراجعوا عن ردتهم إلا بعد أن رأوا أن السلطة ما زالت بأيديهم[36] ، في حين رأى ابن خلدون أن ذلك وسيلة للتقرب إلى الرسول ، ولأن قريشا كانوا الأكثر عصبية وقوة وتماسكا في تلك الفترة ، وانهم الأقدر على توحيد العرب واخضاعهم لنفوذ الإسلام ، بما لهم

من مكانة لدى القبائل المضرية ، وأن لا أحد يمكنه توحيد الأمة غيرهم ، وأن عدم الإقـرار بأحقيتهم بالخلافة قد يؤدي إلى خروج القرشيين ، وإلى فتنة وحرب أهلية قد تؤدي إلى سفك الكثير من الدماء ، فوجدت الأمة بأن التسليم للقرشيين هو في خدمة الجماعة ، والحفاظ على وحدة الأمة والمجتمع من التشرذم والتمزق ، وحقنا لدماء المسلمين ، بمعنى أنها مجاراة للواقع القائم ، الذي يرى أن مصلحة الأمة تكمن في التسليم للقرشيين في تلك الظروف[37] ، وتكثر بعد ذلك الأحاديث التي تنسب للرسول حول أحقية القرشيين [38] ، وهو ما يتعارض مع مباديء الإسلام ، الذي يرفض التعصب لجماعة معينة على حساب الآخرين ، فالناس سواسية كأسنان المشط ، كما أن الإسلام لا يعطي أفضلية عرقية أو قبلية لأي كان في المجتمع ، لأن التفاضل أصبح زمن الرسول على أسس مختلفة ، منها التقوى ، وخدمة الأمة ، والالتزام بالجماعة والعقيدة لا القبلية والأصل الذي ينحدر منه الشخص ، مما يجعل هذه الأحاديث صدى لترسخ فكرة قرشية الخلافة في ذهن المسلمين في الفترة الاولى ، أي هي في النهاية مجرد صدى الواقع ، ولأن كل الخلفاء كانوا من قريش بالأساس . ومنهم من اعتبرها وسيلة للقضاء على طموح الأتراك في السيطرة على الخلافة في العصر العباسي ، فركز عليها واعتبرها من الشروط الأساسية للخليفة .

وعندما لا حظ عمر تشعب الآراء والتوجهات داخل الاجتماع ، لجأ إلى الإمساك بيد أبي بكر ومصافحته مؤكدا بذلك على ما اصطلح عليه في الإسلام فيما بعد بالبيعة الخاصة ، وقد وصفت هذه البيعة خاصة بانها فلتة وقى الله المسلمين شرها ، أي من غير تفكير ولا إعمال فكر [39]، ويمكن تفسير هذه الحركة السريعة من قبل عمر بأنها

كانت بيعة لدرء الفتنة ، إذ أن عمر وأبا بكر قد تخوفا من أن تأجيل التصويت إلى وقت آخر قد يؤدي إلى نزاعات وحروب داخلية بين المسلمين [40] ، حيث سيصبح بإمكان الأنصار تجميع صفوفهم ، بعد أن كان الاقتسام والتفسخ والنزاع القبلي يلعب دورا رئيسا في تلك اللحظات وعاملا مهما في خدمة المهاجرين وتقوية حججهم وسيطرتهم على الأوضاع .

وهكذا نجح المهاجرون في السيطرة على السلطة ، بالرغم من قلة عددهم ووجودهم في خارج موطنهم الأصلي ، بينما فشل الأنصار ، بالرغم من كونهم على أرضهم وكثرة عددهم ، فما هي العوامل التي أدت إلى نجاح المهاجرين وفشل الأنصار ؟ من الممكن تفسير ذلك بداية أن الأنصار لم يكونوا مقتنعين تماما بحقهم بالسلطة ، وأن الخلافة هي حق لعشيرة الرسول ، ثم انقسام الأنصار وتنافسهم الداخلي على أساس الصراع القبلي التاريخي بين الأوس والخزرج ، وهو ما عبر عنه تخوف الأوس من أنه إذا ما تسلم الخزرج الخلافة فإنه سيكون لهم الفضيلة والتقدم عليهم ، بالإضافة إلى التنافس والانقسام بين الخزرج أنفسهم [41] ، ثم عدم توحد رأي الأنصار فسرعان ما تراجعوا عن حقهم في السلطة ، وبدأوا بطرح فكرة اقتسام السلطة ، الذي كشف للمهاجرين أن الأنصار غير موحدين ، ومن السهل استغلال هذه الفكرة وهذا الضعف في السيطرة على السلطة ، فبذلك كان ضعف الأنصار سببا رئيسا في قوة المهاجرين ، كما كان لقلة عدد المهاجرين في الاجتماع دور هام ، حيث سمح بعدم تشعب آرائهم ، فبالرغم من أن البعض يشير إلى خمس شخصيات من المهاجرين فقط ، إلا أنه يبدو أن هناك نوعاً من التنسيق المسبق بينهم وبين المهاجرين الآخرين

لاعتبار أبي بكر ممثلا لهم ، خاصة أن أبا بكر كان يدرك بأن الرسول سوف يتوفى ، وهذا ما يفسر قبول الأنصار لأبي بكر وعمر كممثلين للمهاجرين في الاجتماع ، كما لعبت أسماء الشخصيات التي طرحت للسلطة دورا رئيسا ، ففي الوقت الذي طرح الأنصار سعد بن عبادة الخزرجي ، الذي كان مريضا في تلك الفترة ، لدرجة أن صوته لم يكن مسموعا ، نجد المهاجرين يتفقون على أبي بكر وعمر كممثلين لهم ، وهم من أكثر الشخصيات قربا للرسول ومكانة ونفوذا وقبولا في المجتمع ككل ، بالإضافة إلى سابقتهم وخدماتهم في الإسلام ، خاصة أن تلك الفترة كانت تتطلب شخصية قوية تمثل كل المسلمين – الأمة – ، لا شخصية مريضة تمثل قبيلة ولا تحظى بالاجماع ، ثم ازداد ضعف الأنصار وقوة المهاجرين عند قيام جماعة بني أسلم الذين تميزوا بعلاقة سيئة مع الأنصار بمبايعة أبي بكر ، وأخيرا قدرة المهاجرين على جعل فكرة عدم البيعة لأبي بكر مرادفة للخروج عن الجماعة ، واتهام من لا يبايع بأنه صاحب فتنة ، مما اضطر الكثير للبيعة خوفا من هذه التهمة .

أما السؤال الآخر الذي يطرح نفسه هو لماذا نجح أبو بكر في الوصول إلى السلطة على حساب الشخصيات الأخرى ؟ حتى أن الشخصيات التي اقترحها أبو بكر نفسه وهم عمر أو أبو عبيدة قد رفضوا مجرد فكرة الترشح ومنافسته ، ويمكن إعادة ذلك إلى كونه نسابة عظيما يعرف القبائل العربية جيدا، حيث عد من أهم النسابة في تاريخ الإسلام ، وذلك للتأكيد على أنه سياسي بارع [42]، وكان شخصية ذات نفوذ قبل الإسلام ،فكان يلقب بالصديق ويتحمل الأشناق – الديات – حتى أن قريشاً كانت تلتزم أية دية يتحملها في حين كانوا لا يثقون بالآخرين [43] ، وهو أول من أسلم من

الرجال حتى قيل أنه الوحيد الذي لم يتلعثم حين دعي إلى الإسلام كغيره من المسلمين [44] ، وأول خطيب في الإسلام دعا إلى نشر الدعوة العلنية في قريش ، وتعرض بذلك للضرب والإهانة ، حتى كاد ان يموت من شدة ذلك ، وأول من صلى علنا في مكة [45] ، وضحى بأمواله في سبيل الدعوة ، فمن أربعين ألف درهم في بداية إسلامه إلى مجرد خمسة آلاف عند الهجرة ، أنفق معظمها في سبيل الإسلام[46] ، وحرر بأمواله سبعة من المسلمين المستضعفين الذين كانوا يعذبون في الإسلام [47] ، وصحب الرسول ولازمه طوال فترة الدعوه ، وزوجه من ابنته أهم وأحب زوجات الرسول على الإطلاق ، وشهد كل المشاهد مع الرسول ، فكان إلى جانب الرسول في معركة بدر ، ووقف مدافعا عن الرسول في أحد حين انفض الناس عنه ، وأعطاه الرسول مائة وسق في خيبر ، ودفع إليه الرسول رايته في تبوك [48] ، وحج بدلا من الرسول عام 8 هـ/630 م [49]، وذكر في القرآن " ثاني إثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا "[50] فهو المرافق الوحيد للرسول في الهجرة " " كما ان الرسول قد وضعه إماما للمسلمين في الصلاة أثناء فترة مرضه الأخير ، والتي رأى بها البعض وكأنها ايماءة إلى تعيينه ، وقد عبر عن ذلك المسلمون بالعبارة التي يبدو أنها راجت بين المسلمين بأن من " ارتضاه الرسول لديننا الأولى أن نرتضيه لدنيانا" [51] ، وكان ممن يفتي زمن الرسول [52] ، وهو من ناحية المفاهيم القبلية التي ما زالت في ذهن المجتمعين من حيث صفات رئيس الدولة المتمثلة بالسن ، والكرم والحزم ، والتجربة والحلم ، ويقصد بذلك القدرة على توجيه الأحداث واستقطاب الطرف المعارض ، وكذلك نرى أبا بكر سرعان ما وجه الأنصار بالإتجاه الذي يريد ، وأقنعهم بذلك، بالإضافة إلى قدرته على سحب الذرائع من الطرف الآخر ، فحولهم بسرعة ملفتة للنظر من مطالبين بالخلافة إلى مقرين بأحقية قريش ، وأن ينسحبوا إلى

الصف الثاني في الإسلام مع أن عددهم كان الأكبر ، كذلك القدرة على اتخاذ القرار والقوة التي تمتع بها ، مما جعله يلقى إجماعا كبيرا ، خاصة أن القيادة الفردية للرسول لم تلغ هذه المفاهيم ، ولم نجد الرسول يخلق مجموعة من المؤسسات التي تعبر عن كيفية إدارة وقيادة المجتمع ، أو حتى عن كيفية الانتقال السلمي للسلطة .

وبذلك أكد اجتماع السقيفة على ذلك التضارب بين مجموعة المفاهيم القبلية التي كانت تسود المجتمع ، وبين المفاهيم الإسلامية التي تحاول القضاء على القبلية ، وإحلال مجموعة من المبادىء والقيم الجديدة التي كان هدفها كبح جماح العناصر القبلية ، التي تتعارض مع مبادئه ، ولكن الفترة القصيرة للدعوة المحمدية ، لم تكن كافية لتغلغل المبادىء الاسلامية وفهمها ، مما سمح لعودة العناصر القبلية في حياة المجتمع بشكل قوي ومؤثر في النظم السياسية والاجتماعية بشكل خاص ، كما أن عدم وضع الإسلام والرسول نظاما محددا لانتقال السلطة ، قد فتح الباب لعودة المفاهيم القبلية ، واستناد المسلمين إلى تجربتهم فيما قبل الإسلام ، مما جعل اجتماع السقيفة وكأنه احد أشكال الاجتماعات التي كانت تحصل في دار الندوة أو السقيفة ، وازداد الأمر سوءا مع غياب النظام المؤسسي للدولة ، فقد يكون الرسول قد وضع مبادىء عامة للحكم ، كضرورة وجود القيادة ، والدعوة إلى المساواة ، واعتماد قانون محدد في الحياة لتحقيق العدالة في المجتمع ، والحرية ، والدعوة الى الاخلاق الحميدة ، ووجود روابط عقائدية وروابط المواطنة ، وضرورة التعايش مع الديانات الاخرى ، والكثير من القيم للحياة العامة ، لكن من المؤكد انه لم يضع إطارا لنظام سياسي مؤسسي في الإسلام ، وأن مجموع هذه المبادىء هي في

حقيقتها صورة تنطبق على كل حركة إصلاحية أو فكرية تهدف إلى بناء مجتمع مثالي.

ومما يعبر عن ذلك التناقض بين المفاهيم القبلية ومجموعة القيم الإسلامية التي ترفض الاعتراف بالقبلية كأساس للتفاضل داخل المجتمع ، واعتبار التقوى والسابقة في الإسلام أي مقدار الخدمات التي قدمها الفرد للإسلام مقياسا رئيسا للتفاضل بين الناس ، لا العائلية والقبلية ، فإننا نرى والد أبي بكر يطرح التساؤل التالي عندما وصلته أنباء خلافة إبنه للمسلمين:" " أرضيت بنو عبد شمس وبنو المغيرة ، قالوا : نعم ، قال : فإنه لا مانع لما أعطى الله ، ولا معطي لما منع الله " [53] ، وهي أول إشارة لفكرة الجبر التي تبناها الأمويون فيما بعد . ثم رد أبو بكر على ذلك بقوله " إن الله رفع بالإسلام بيوتا ، ووضع بيوتا ، فكان بيتي فيما رفع ، وبيت أبي سفيان فيما وضع الله" [54] .

شهد اليوم التالي لانتخاب أبي بكر تقليدا سياسيا جديدا ومهما في الإسلام ، ونعني به البيعة العامة ، وهي عبارة عن موافقة الأمة على رأس السلطة ، وإقرار منهم بحق الطاعة والولاء[55] ، و"على إقامة العدل والقيام بفروض الإمامة على كتاب الله وسنة رسوله ، ولا يقتصر على الصفق باليد، بل يكفي فيه القول ، ومن عقدت له البيعة جاز أن يسمى خليفة رسول الله [56] ، ففي البداية وقف عمر وخطب بالناس مؤكدا على مبايعة الصديق ، ثم خطب أبو بكر خطبة تسلمه للسلطة ، كان نصها "

أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم ،فإن احسنت فاعينوني ، وإن اسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، لا يدع قوم الجهاد إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم ، إلا عمهم البلاء ، فأطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم "[57]، وقد وردت هذه الخطبة بعدد من النصوص المختلفة لفظا والمتفقة مضمونا ، مما يؤكد على أنها من صياغة المؤرخين والكتاب فيما بعد [58] ، وفي نهايتها دعوة الناس إلى البيعة الذين سارعوا إلى التسليم عليه .

إن الخطبة قد حملت في طياتها عددا من المبادىء السياسية المهمة في الإسلام كان على رأسها أنه ليس بالضرورة أن يكون الخليفة هو أفضل من في الأمة ، وذلك لقطع الطريق أمام المعارضة من البطون القرشية الأكثر نفوذا ونسبا والتصاقا بالرسول ، بينما يكون الخليفة هو الأكثرنفوذا ورغبة وقبولا لدى الأمة ، وأن الأمر ليس بالنسب والانتماء القبلي [59] ، وأنه ليس أكثر من موظف كبير في خدمة الأمة ،مما دعا المسلمين وفي بعض الروايات الخليفة نفسه إلى تقرير راتب سنوي له ، وهو ما أصبح تقليدا لدى المسلمين فيما بعد "[60] ، أما الأمر الآخر فهو التأكيد على دور الأمة في النظام السياسي ، فهي تمتلك حق المراقبة والتقويم أو التصحيح للخليفة ، ولا ينتهي دورها بوصول الخليفة إلى السلطة والانتظار حتى وفاته إذا كان ظالما أو فاسقا ، كما راج في النظرية السياسية في الإسلام فيما بعد ، أو مجرد الدعوة للخليفة بأن يكون رحيما ورؤوما في المجتمع ، كما كان يروج أبو جعفر المنصور ، ثم أكد على ضرورة القتال ، ولعل ذلك التأكيد نابع من المرحلة التي كانت تمر بها الأمة المتمثلة

بالردة والخطر المحدق بالمسلمين ، ثم دعا إلى عدم النفاق للحاكم ، فالكذب خيانة والصدق أمانة ، وكذلك العدل ، لأن العدل أساس الملك ، والظلم يؤدي إلى زواله ، ويكون ذلك من خلال سيادة القانون – الشرع – على الضعيف والقوي في الوقت نفسه ، وفي النهاية التأكيد على الطاعة للحاكم ، ولكن جعلها مشروطة بالارتباط بالشريعة وتطبيقها لا الطاعة المطلقة ، وبذلك فالحاكم في الإسلام لا يطاع لذاته بل لأنه ممثل للشريعة ، ولكن أبا بكر قد تفادى في الخطبة بعض القضايا الهامة ، وهي : من هي الفئة أو المؤسسة التي يحق لها مراقبة الخليفة وتتبع أخطائه وانتقاده ؟ وما هو موقع الشورى في العلاقة بين الحاكم والمحكوم ؟ وكيفية العزل ؟ والاكتفاء بمنح الامة دور تصحيح مسار الخليفة وسلوكه فقط ، وما دور الأمة في اختيار المرشحين وانتخاب الحاكم فقد تم اغفاله ايضا ، حيث وجدت الأمة في اليوم التالي نفسها أمام مرشح واحد ، تمت في البداية بيعته من رجل واحد ، ثم تبع هذا العمل الفردي بيعة مجموعة الأنصار والمهاجرين المجتمعين ثم الأمة نفسها .

أظهر أبو بكر حرصا شديدا للحصول على البيعة العامة من كل المسلمين ، ولكنه سرعان ما أدرك أن ذلك أمر غير ممكن ، ولعل قوله " أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم " إشارة الى أن الحاكم قد يحصل على بيعة الأغلبية ، ولكن ليس بالضرورة من جميع أفراد الأمة ، وأن الخليفة ليس سوى موظف أعلى بالدولة حظي بالأغلبية ، إلا أنه مع ذلك بعد بيعته العامة في المسجد كان يصر على الحصول على البيعة من الشخصيات التي تشكل مراكز القوى في المجتمع ، والتي إذا لم تبايع سوف تؤدي إلى شق وحدة الصف الإسلامي ، فنراه يحاول مع سعد بن عبادة ، ولكنه في

النهاية يتخلى عن ذلك، عندما أدرك أن سعدا لم يعد يشكل تلك الخطورة ، لأن معظم أبناء قبيلته من الخزرج قد بايعوا الخليفة أصلا [61] ، ثم أخذ بالعمل على الحصول على بيعة بقية المعارضة من علي والعباس والزبير وطلحة وغيرهم من المهاجرين والمتنفذين في المجتمع الإسلامي ، وقد نجح في الحصول على بيعتهم في النهاية بسبب صرامة عمر من ناحية [62] ، الذي أراد أن يجعل رباطا بين البيعة والاستخدام للموظفين في مرافق الدولة "[63]، ورغبة أبي بكر في الوقت نفسه الذي كان يرى أن البيعة يجب أن لا تكون بالإكراه [64] ، ولأن المعارضة الرئيسة المتمثلة بالعلويين كان اعتراضها الرئيس أنها لم تشارك في الشورى ، واكتفوا باتهامهم لعمر وأبي بكر بالتسرع ، وحسم الأمر قبل أن يفيق المسلمون من صدمة وفاة الرسول ، بالإضافة إلى أن معظم الناس قد بايعت فلم يعد لهم مبرر لرفض البيعة [65] ، وكذلك اتهام أبا بكر لكل من لم يبايع بأنه صاحب فتنة ، يهدف إلى شق الصف الإسلامي وتدمير وحدة المسلمين[66] ، مما قد يؤدي إلى سفك الدماء ، خاصة أن الأغلبية الساحقة كانت ترى بأبي بكر شخصية الموقف في تلك الفترة .

الشيء الآخر الذي شكل أحد التحديات الهامة بالنسبة لأبي بكر تمثل بالمعارضة ، وقد تكونت في الأغلب من بعض الفئات القرشية ، إذ إن الأنصار سرعان ما ابتعدوا عن المنافسة ، لإقتناعهم في النهاية أن قوم الرسول وجماعته أولى به ، بالإضافة إلى أن حالة التفسخ والتشرذم والنزاع القبلي لم تساعدهم على الصمود في وجه المهاجرين ، فتكونت المعارضة من فاطمة الزهراء ابنة الرسول ، وزوجها علي بن أبي طالب ، والعباس عم الرسول ، وخالد بن سعيد ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب ، وأبي

سفيان [67]، والزبير بن العوام [68] ، وطلحة بن عبيدالله ، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ما هو دافع هذه المعارضة ؟ تتباين الآراء في ذلك بين من يجعلها لأسباب شخصية أو سياسية ، فبالنسبة لفاطمة فإن السبب يعود إلى رفض أبي بكر منحها تركة والدها ، لأنه سمع من الرسول "نحن الأنبياء لا نورث المال بل العلم والحكمة فقط ، وأن ما تركناه صدقة"[69] ، بينما علي فقد راعى خاطر زوجته ، ولذلك تشير بعض الروايات إلى أنه قد بايع بعد وفاة زوجته أي بعد ستة أشهر[70] ، بينما يرى البعض إلى أنه قد بايع قبل ذلك بكثير عندما بايع المسلمون أبا بكر ، بالإضافة إلى تذرعه بأنه مادام المهاجرون قد انتزعوا حقهم بناء على القرابة من الرسول فهم إذا الأولى والأقرب إلى الرسول ، وبالتالي الأحق بالسلطة [71]، بينما يرى البعض أن السبب الأساس هو في عدم المشاورة لهم على اعتبار أنهم الأحق بالمشاورة [72] ، أما أبو سفيان فقد اعترض من منطلق قبلي ، قوامه أنهم أي بني أمية كانوا السادة قبل الإسلام ، فالأولى أن يتسلم الخلافة الزعامات القبلية التي كان لها النفوذ قبل الإسلام ، وأن البطون الصغيرة لا حق لها ، ولكن إسلامه المتأخر كان نقطة ضعفه الكبيرة ، ولذلك حاول استغلال البيت العلوي والعباسي لتأكيد مذهبه وتوجهه [73] ، ولكن الملاحظ أن لا أحد منهم قد اعترض على شخص أبي بكر نفسه وعدم أحقيته بالخلافة ، كما لم تستند المعارضة في الروايات المبكرة إلى قضية الوصية ، لأن عليا وغيره من المسلمين قد أجمعوا على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يستخلف ، ولم يوص لأحد من بعده، وكذلك تخوف علي أنه إذا ما سأل الرسول في استخلافه ورفض الرسول ذلك فإن الناس سترفض أن تعطي آل البيت الخلافة فيما بعد إلى الأبد[74] ، كما أن عليا سرعان ما بايع أبا بكر ، مؤكدا على أهلية أبي بكر وعمر من بعده ، وبذلك فإن أبا بكر قد أخمد المعارضة ، ولم يرفض بيعته سوى سعد بن عبادة ، والذي

رفض فيما بعد حتى البيعة لعمر أيضا [75] ، ويبدو أن جماعته المقربين جدا لم يبايع قسم منهم ، ولكن من الصعب معرفة عدد من بقي في المعارضة ، إلا أن المؤكد أن هذه المعارضة لم تشكل أية خطورة على المسلمين ووحدتهم، ولذلك لم يهتم المسلمون بها في النهاية .

تعد الشورى ركنا أساسيا في النظام السياسي الإسلامي ، والبعض يعدها جوهر هذا النظام، لأنها الأساس للتوصل إلى الرأي الصحيح ، وقد اعتاد الأنصار التشاور فيما بينهم قبل الإسلام في السقيفة ، كما اعتاد القرشيون على ذلك في دار الندوة منذ تأسيسها على يد قصي بن كلاب في القرن الخامس للميلاد ، ولأنها كذلك جزء من التقاليد القبلية القديمة ، حيث كانت تنشأ دور للتشاور، ونوادٍ للقبائل ، لاجتماع الزعامات القبلية مع أفراد القبيلة . وتميزت الشورى في الفترة الراشدية بالاتساع والضيق ، وذلك وفقا لطبيعة الأوضاع السائدة عند موت رأس السلطة ، وللعصبية الداعمة للحاكم المسلم ، فمن لا عصبية له تصبح مشاورته لا قيمة لها ، لأنه سيفشل في الاستفادة منها [76] لأنه لا يوجد نظام خاص بها أصلا. إلا أن الآيات القرآنية " وأمرهم شورى بينهم"[77]" وشاورهم في الأمر" [78]، وكذلك تجربة الرسول التي كانت تعزز قضية الشورى وإبداء الرأي ، ومجموعة الأحاديث المأثورة كقوله " أنتم أعلم بأمور دنياكم "[79] و " إذا كان شيء من أمر دنياكم فشأنكم وإذا كان شيء من أمر دينكم فإلي "[80] بالإضافة إلى مشاورة الرسول للمسلمين في الكثير من الأعمال العسكرية والجوانب المتعلقة بحياة المجتمع ، قد عزز فكرة الشورى ولكن دون توضيح طبيعتها وبأي الأمور ، وقد استمر المسلمون على هذا التقليد ، فعندما توفي

الرسول اجتمع الأنصار ، ثم انضم إليهم المهاجرون ، وأخذوا في التشاور فيمن سيكون الخليفة، وبذلك يكون أهل المدينة من الأنصار والمهاجرين بممثليهم أبي بكر وعمر وأبي عبيدة قد اجتمعوا معا للتشاور في مسألة الخلافة ، لأن الشورى تكون بين رؤوس الناس وخيارهم [81]، وأصحاب الرأي والفقه [82]، دون التاكيد على ضرورة حضور جميع هذه الفئة بالإجماع كعلي وغيره من الصحابة ، الذين يعدهم البعض من العناصر الأساسية في الشورى [83] .

وتباينت الآراء في موقف أبي بكر من مبدأ الشورى فمنهم من يقول أنه قد استبد في رأيه ، ولم يكن يرى ضرورة للالتزام بمبدأ الشورى ، لأنها من باب العلم والتعرف على موقف الآخرين فقط ، ويستدل على ذلك من موقفه من الردة التي اتخذ فيها أقصى درجات الشدة ، بعيدا عن موقف عدد كبير من الصحابة ، الذين رأوا التسامح معهم على الأقل في تلك الفترة الزمنية [84] ، في حين رأى البعض أنه على العكس من ذلك ، فقد طرح المسلمون رأيهم وأنه قد تقبل ذلك منهم ، ولكنه طرح رأيه كواحد منهم بالقتال والعقاب الشديد ، وأن المسلمين قد أجمعوا على رأيه ومشورته دون أن يتجاهل آراءهم ، بالإضافة إلى هذه الحادثة يدلل البعض على تجاهله للشورى ، بذلك الإصرار على إرسال جيش أسامة بناء على أوامر الرسول ، ووفقا لما قرره الرسول ، ورفض إحداث أي تغيير في القيادة بالرغم من اقتراح الصحابة لذلك [85] ، ولكنه يعود لمشاورة المسلمين في توجيه حركة الفتح نحو الروم ويستمع إلى آرائهم [86] ، وفي أي شأن يعرض له ولا يوجد فيه حل بالكتاب أو السنة [87] ، ثم في مسألة استخلاف عمر من بعده [88] .

تعكس السقيفة شكلا بسيطا من أشكال الانتخاب ، فقد اجتمع الأنصار والمهاجرون ، وطرح كل فريق منهم مرشحه وحججه ، فبينما ركز الأنصار على دورهم كمجموع في خدمة الإسلام ، نجد المهاجرين يركزون على دورهم كمجموع ، بالإضافة إلى دور أبي بكر كشخص ، مما أدى في النهاية إلى انتخاب أبي بكر وبيعته على حساب الأنصار ، وبذلك فقد كان الانتخاب محدودا ، وأغلق فيما بعد أمام الأمة في اليوم التالي، ليجد المسلمون أنفسهم أمام مرشح وحيد ليس لهم الحق إلا في تأييد إنتخابه أو الإمتناع عن ذلك فقط ، وبذلك سلب حق الأمة في تقرير الخليفة القادم من خلال منحها حق المفاضلة بين أكثر من مرشح ، مع أن هذا الأمر كان ممكنا في مجتمع قليل العدد . كما تم منح هذا الحق فيما بعد إلى فئة صغيرة عرفت بأهل الحل والعقد لتقرير الخليفة ، فمن هم أهل الحل والعقد ؟ .

اختلف المسلمون في صفتهم وحقوقهم وميزاتهم لأنه مصطلح فضفاض ، فمنهم من رأى أنهم الصحابة [89] ، أو أهل الاختيار [90] ، بينما حددهم عمر برؤساء العشائر والمتنفذين أو رؤساء المجتمع ، الذين يشكلون مراكز قوة إما من الناحية العشائرية أو الدينية أو المالية ، والذين إذا ما اختلفوا قد تختلف الأمة وتنقسم بسببهم [91] ، ومنهم من قال العلماء والرؤساء وسائر وجوه الناس [92] ، ومنهم من رأى أنهم ممثلو الجماعات المختلفة في المجتمع ، كأبي بكر وعمر اللذين مثلا المهاجرين في السقيفة [93] ، أو أفاضل الأمة [94]، ولكنهم سرعان ما أصبحوا أصحاب الحق في اختيار الإمام دون الاهتمام ببيعة أهل الأمصار ، كما حصل مع أبي بكر حيث اختاره الموجودون دون الضرورة لانتظار الآخرين [95] ، وما على الأمة إلا القبول

باقتراحهم حتى لو كان الذي يبايع الخليفة واحدا منهم فقط ، كما فعل عمر ببيعته لأبي بكر [96] ، إلا أن البعض قد اشترط أن عددهم قد يكون بين الثلاثة والستة ، بناء على التطورات التي حصـــلت في مجلس الشورى الذي وضعه عمر قبل وفاته ، ولكن الأكثر أهمية أنهم ليسوا مؤسسة لها نفوذ ووظائف محددة ، بل يخضع الأمر لسلطة الحاكم ورأيه وسياسته وأنهم إفراز للمرحلة والظروف التي تمر بها الأمة .

أقدم أبو بكر قبل وفاته على وضع تقليد جديد في الوصول إلى السلطة ، وذلك من خلال منح الخليفة حق تعيين خليفته أثناء حياته ، مخالفا بذلك سنة الرسول الذي ترك الأمر شورى بين المسلمين ، فقام بتعيين عمر بن الخطاب ، وقد تم تبرير هذه الخطوة بعدد من الأمور وهي التجاوب مع رغبة الأمة , فبعد أن جمع أبو بكر المسلمين ، وحررهم من البيعة له ، نظرا لمرضه وعدم قدرته على سياسة الأمور عادوا إليه وطلبوا منه تعيين خليفة له بسبب عدم قدرتهم على الاتفاق على مرشح من بينهم , أو بسبب الوازع الديني [97] ، والبعض بسبب شخصية عمر القوية وقدراته السياسة والإدارية وتجربته في فترة حكم أبي بكر[98] ، بينما رآى البعض السبب هو هاجس الخوف من الانقسام والفتنة ، والرغبة في الحفاظ على وحدة الأمة والجماعة ، بعدما أدرك طمع الكثيرين في الوصول إلى السلطة [99] , في حين يتبنى البعض فكرة المؤامرة الثلاثية بين أبي بكر وعمر وأبي عبيدة ، بناء على اتهام علي لعمر عندما مهد له أمر الخلافة " أحلب حلبا لك شطره ؟ وأشدد له اليوم أمره يردده عليك غدا " , وعند وفاة أبي بكر وإعلان اسم عمر خليفة قال أحد الرجال "أمّرته عام أول وأمّرك العام "[100] , ومنهم من يعيد ذلك إلى وجود اتفاق بين أبي بكر وعمر ، اللذين استغلا

زواج بناتهم من الرسول في مراقبته والإطلاع على أسراره ، وبالتالي السيطرة على السلطة [101] ، وفي الحقيقة أن قبول فكرة المؤامرة تواجه بعض الصعوبات ، وهي أن القرآن لم يكشف عن شيء من ذلك التوجه ، وثانيها سرعة انعقاد اجتماع السقيفة الذي لم يتح الفرصة للثلاثة كي يحيكوا مثل هذه المؤامرة، والثالث لو أن الخلافة مطمع لهؤلاء لرأينا محاولة من أبي بكر لاستبعاد عمر والتخلص منه ، كما يفعل الطامعون في الحصول على السلطة وتحويلها إلى أحد أبنائهم ، ولقول عمر قبيل وفاته لو كان أبو عبيدة أو سالم مولاه حيا لعينته [102] ، فلم يقصر الأمر على أبي عبيدة ، كما أن عدم تعيين عمر لإبنه عبدالله بالرغم من مطالبة البعض له بتعيينه لدلالة واضحة على أن السلطة لم تكن الغاية والهدف الرئيس لعمر .

ولكن يمكن القول في النهاية أن الاستخلاف هو ضرورة الواقع، وذلك أن المسلمين كانوا يقفون في جيوشهم على أبواب أقوى دولتين في تلك الفترة ، وهما دولتا الفرس والروم ، وأن هناك تخوفا واضحا من أبي بكر في أن ينشغل المسلمون في مسألة الخلافة على حساب الوضع العسكري الخطر ، وهو في ذلك يتفق مع التقاليد العربية القديمة ، التي تعطي الحق لشيخ العشيرة بتعيين خليفة له إذا ما كانت القبيلة في حالة الخطر كالغزو، بالإضافة إلى أن أبا بكر لم يجد نفسه مضطرا لإتباع نظام محدد في الإسلام ، نظرا لعدم وجوده أصلا .

وبذلك أصبحت ممارسة الصديق إحدى القواعد الأساسية في الفقه السياسي الإسلامي ، حيث أجاز الفقهاء حق الخليفة في تعيين من سيخلفه، إذا ما امتلك الشروط الواجب توفرها في الخليفة[103] ، مع استبعاد فكرة التوريث [104] ، وضرورة موافقة المرشح على التعيين في حياة الخليفة القائم [105] ، مع أن الروايات المعاصرة لا تؤكد موافقة عمر على ذلك أو على اعتراضه في الوقت نفسه .

أكد التعيين كذلك على سلب الأمة الحق في تعيين الخليفة وانتخابه ، والزامها برأي الخليفة وضرورة قبوله ، ما دام الخليفة قد قام بمشاورة جزئية لبعض المسلمين من الصحابة في تلك الفترة ، الذين كانوا جزءاً من أهل الحل والعقد [106] ، مع أن موافقتهم أو عدمها لا تؤخذ بعين الاعتبار أساسا [107] ، إلا أن الحقيقة أن أبا بكر لم يأخذ آراءهم بعين الإعتبار ، وبرر اعتراضاتهم بأنها بسبب طمعهم في السلطة ، وأنه قد اختار الرأي الأصح والذي يصب في مصلحة الأمة [108] كما أكد بذلك على ضرورة طاعة الخليفة حتى بعد وفاته .

كان تأثير فترة الحكم القصيرة لأبي بكر والتي لم تتجاوز السنتين ونصف أكبر بكثير من حدودها الزمنية ، فقد عدها المسلمون والفقهاء منذ العصر الأموي وحتى الآن ، أفضل نموذج وأفضل تجسيد لنظام الحكم الراشد " الصحيح " في الإسلام، لأنه سار على منهاج النبوة ، ولذلك رأوا من الضروري التأصيل لها واعتبارها التجربة والفترة الأصح والأفضل ، لاستنباط عدد من قواعد الفكر السياسي في الإسلام .

أخذ التأصيل لخلافة أبي بكر اتجاهين :- الأول من خلال القرآن فقد تم التأكيد على الآيات التي ارتبطت بحياة أبي بكر ، والآيات التي نزلت بأحداث قد شارك فيها أو تأويل بعض الآيات على أنه المقصود بها ، منها " إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا "[109]وقوله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ [110] وقوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ[111] وقوله تعالى "أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [112]وقوله تعالى " ومن يطع الله والرسول فاؤلئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين "[113] .

أما الاتجاه الثاني :- فلجأ إلى الإستفادة من أدب الفضائل " وتطويعه للوصول إلى حالة تعظيم وتقديس شخصية الصديق ، من خلال عملية دمج رائعة بين زيف الخيال وروعته ، وحقائق التاريخ وواقعيته ، فجعلت من التاريخ ووضع الأحاديث وسيلتها الأمثل ، فتمت عملية تنقية وتشذيب ، وحتى وضع تاريخ مثالي للصديق منذ ولادته وحتى مماته ، في عملية نلحظ بها عدم ذكر أي انتقاد له كبشر ، والإغراق في تبرير كل ما يقوم به من أعمال ، والتأكيد عل مجموعة من الصفات المثالية الشخصية ، ثم أخيرا الأحاديث ووضعها لخدمة هذا الهدف .

لقد تغلب الجانب المتخيل على حقائق التاريخ في شرعنة خلافة الصديق، نظرا لتماشيه مع النفس الإنسانية التي تتوق إلى الخوارق ، فجعلت بعض الأحاديث لأبي بكر صفات منزلة من السماء ، فقد خلق من نفس الطينة التي خلق منها الرسول صلى الله عليه وسلم [114] ، ولقب الصديق أطلقه الله عليه وأنزل بواسطة الملك جبريل [115] ، وأن الله أمر الرسول باتخاذه والدا [116] ، واسم الصديق مكتوب على العرش [117] ، وأن الله كان يقرئه السلام على لسان جبريل عند نزول الوحي [118] ، وأن الله قد بشر الرسول بأن أبا بكر صاحبه في الهجرة والخليفة من بعده ، ولذلك فإن الله هو الذي قدمه على الصلاة عند مرض الرسول [119]، وأن الله من فوق سمائه يكره أن يخطىء أبو بكر[120].

كما توجه البعض إلى وضع عدد من الأحاديث على لسان الرسول في تمجيد أبي بكر وتعظيمه، والرفع من مكانته ، فهو أفضل الناس بعد النبيين والمرسلين [121]، لذلك فهو خير الخلق أجمعين [122] ، وأن الرسول نهى أبا الدرداء من المشي من أمام ابي بكر لأنه أفضل منه [123]، وحبه من الإيمان وبغضه كفر [124] ، وهو الوحيد الذي سيحصل على ثواب كل من آمن بالرسول بعد وفاته صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة [125] ، وهو مع عمر سيدا كهول الجنة [126]، وهو من الدين بمنزلة الرأس من الجسد [127]، وأن الله والمسلمين سيرفضون أن يتولى السلطة شخص غير أبي بكر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم [128] ، وأن الله قد أجاب طلب الرسول أن يجعله وأبا بكر في نفس الدرجة بالجنة [129] ، وأنه الوحيد الذي لن

يحاسب يوم القيامة [130]، ولذلك فهو أول من سيدخل الجنة من أمة محمد [131] ، وسوف يكون ضمن الوفد السبعين الذين سيغدون على الله لانقاذ الأمة من النار[132] ، وأن الله يتجلى للأمم عامة ولأبي بكر خاصة [133].

كان تزييف الروايات التاريخية مجالا آخر لتحقيق هذا الهدف ، فقد وضعت بعض القصص المشابهة لحياة الرسول ، فهو يسافر قبل الإسلام إلى الشام في تجارة ، ويلتقي ببحيرا الراهب الذي ينبئه ان نبيا سيبعث في قومه ، وبأنه سيكون أول من يؤمن به ، وسيكون صاحبه ووزيره في حياته ، وخليفته بعد وفاته [134] ، ثم يسافر إلى اليمن ، ويلتقي بشيخ من الأزد ، الذي سوف يفسر له حلما ما بأنه سوف يبعث نبي في قومه ، وسيكون هو أول المصدقين ، وان الدليل على ذلك وجود شامة على بطنه ، فيطلب منه الشيخ الكشف عن بطنه ليجد الشامة ، ويؤكد له صحة ما قال [135] .

استوجب ترسيخ هذا المتخيل في أذهان المسلمين ضرورة تطعيمه بعدد من الحقائق التاريخية ، التي تدعم أهلية أبي بكر واحقيته في السلطة بعد الرسول ، فأصبح تنقيح سيرته وعرضها بصورة مثالية أساسا لذلك ، ففي العصر الجاهلي نجده لا يشرب الخمر ويحرمها على نفسه ، لأنها مضيعة للمروءة والعرض [136] ، وأنه ذو مال وجاه عريض وتاجر ناجح وموحد لقومه، ومحبوب لديهم ، ورجل أديب مضياف ، يجتمع إليه القرشيون للتعرف على أنساب العرب بعامة وقريش بخاصة ، لانه أعلم

الناس بها ، بالإضافة إلى علمه بأيام العرب وأخبارهم [137]، وكذلك كانوا يجدون عنده من طريف الحديث وغريب الشعر [138] ، كما كان إليه أمر الديات (الأشناق)، وهو الوحيد الذي كانت قريش تلتزم بالوفاء بتعهداته في هذا الجانب ، فهو صادق وغيره كاذب وغير مأمون [139] .

وتميز في الفترة الإسلامية بأنه أول الرجال إسلاما ، مع قبوله لدعوة الرسول من دون اي تردد أو تلعثم [140]، وكذلك فهو أول من دعا إلى إعلان الدعوة في قريش ، وأول من خطب في الله تعالى جهرا في قريش، وتعرض للضرب من القرشيين حتى كاد أن يموت جراء ذلك [141] ، ثم أخذ بالعمل على خدمة الإسلام ماليا ، فأنفق معظم أمواله في سبيل الدعوة حيث يشار إلى أن ثروته قبل الإسلام كانت 40,000 درهم ، بينما لم يتبق معه عند الهجرة سوى خمسة آلاف ، ثم زوج ابنته بالرسول [142] ، وأصبح من أكبر الدعاة وأهمهم ، فقد أسلم على يديه عدد من الصحابة مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف[143] ، واشترى سبعة ممن كانوا يعذبون [144] ، وعندما هاجر إلى المدينة كان الوحيد الذي رافق الرسول في مسيرته[145] ، ثم أصبح ملازما للرسول في حله وترحاله ، وكسب محبة الرسول مقارنة بغيره ، وشهد جميع الوقائع والمشاهد المتعلقة بالمسلمين ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، والعتيق لعتقه من النار يوم القيامة [146] ، ومن المشاورين والمفتين عن الرسول ، ونائبه في حالة عدم وجود الرسول [147] ، وكان حليما ووقورا وخطيبا مفوها ، ومدركا للأحداث من حوله ، والقادر على إتخاذ القرار المناسب[148] ، وهو في النهاية من عينه الرسول في مرضه للصلاة

بالمسلمين ، لذلك كان الأولى بالمسلمين إرتضاؤه لدنياهم كما ارتضاه الرسول لدينهم [149] ، وأخيرا بسبب مكانته العظمى لدى الانصار ، فعندما سألـــهم عمر يوم السقيفة " أيكم تطيب نفسه أن يتقدم على أبي بكر ، قالوا نعوذ بالله أن يتقدمه أحـــد" [150] .

تكشف محاولات التأصيل عددا من الأمور أولها أن وضع الأحاديث وتزييف الروايات التاريخية جزء من الصراع السياسي بين الجماعات المختلفة في المجتمع الاسلامي ، خاصة بين السنة والشيعة ، بهدف تبرير شرعية الحكم الفردي أو لعائلة معينة ، ولذلك نجد تماثلا بين فضائل أبي بكر والأحاديث التي وضعها الشيعة في آل البيت ، كالتأكيد على مبدأ الوصية لأبي بكر ، والحسين والحسن سيدا شباب الجنة بينما أبو بكر وعمر سيدا كهول الجنة ، وأن الرسول أراد أن يكتب كتابا لعلي ، إلا أن عمر منع إيصال المواد إليه ، بينما في التراث السني أنه طلب من عبد الرحمن وعائشة أولاد أبي بكر إحضار أدوات لكتابة عهد لوالدهم ، لكنه تراجع في النهاية مؤكداً أن الله والمسلمين لن يقبلوا بغير الصديق خليفة ، كما تم إيراد معظم هذه الأحاديث والروايات والفضائل على لسان علي ، للتأكيد على اعتراف علي بأحقية أبي بكر بالسلطة والخلافة ، والرد على الشيعة الذين يرون أن أبا بكر قد اغتصب حق علي بالسلطة .

الأمر الثاني الملفت للنظر هو محاولة تزييف بعض الروايات التاريخية، للتدليل على قدرة أبي بكر على ملء الفراغ السياسي الذي تركه الرسول عند وفاته ، من

خلال تاريخ مثالي في الجاهلية والإسلام ، وروايات تتشابه مع القصص التي وضعت في السيرة النبوية .

الأمر الثالث أن هدف الفضائل نقد أنظمة الحكم القائمة بطريقة غير مباشرة ، فإن عرض سيرة أبي بكر وفضائله باعتبارها مثالا للحكم العادل والراشد تأكيدا على أن أنظمة الحكم القائمة في عصور هؤلاء الكتاب لا تسير على المنهاج الصحيح .

الأمر الرابع والأخطر هو جعل الرسول عالما بالغيب ، وهي من أخطر الافتراءات على الرسول ، من خلال وضع أحاديث تؤكد أن الخلافة ستكون بداية على منهاج النبوة وأنها ستتحول إلى الملك ثم إلى الاستبداد ثم تعود على منهاج النبوة ، وأحاديث تشير إلى ترتيب الخلفاء بناء على ما حصل في التاريخ ، وأخرى تحدد عمر الخلافة الراشدة بثلاثين عاما مثلا . مع أن الرسول لم يدع يوما ما أنه عالم بالغيب ، وأنه أكثر الرسل تأكيداً على جانبه البشري ، بالإضافة إلى أن مفهوم الخلافة قد ظهر أصلا بعد وفاة الرسول ، فكيف يكون الرسول قد تحدث عنه قبل أن يوجد ، وعبارة إن هو إلا وحي يوحي لا تبرر ذلك ، لأن الوحي في الأمور الدينية ، لا المعاملات الدنيوية والحياتية المستقبلية التي ترك الله والرسول للناس حق إدارتها وتقريرها ، بما لا يتعارض مع الشرع ، ووفقا للمتغيرات ومصلحة الأمة .

وأخيرا فإن هذه الأحاديث لم يظهر أي شيء منها في اجتماع السقيفة ، مما يشكك في صحتها، فلو كان هذا الكم الهائل الذي بلغ مجلدا كاملا لدى ابن عساكر، وهو الجزء الثلاثين من كتابه تاريخ مدينة دمشق ، لسمعنا عن قسم كبير منها في الاجتماع ، ولما حاول الأنصار حتى مجرد التفكير في الاستئثار بخلافة الرسول ، لكونها تنفي أية أحقية لهم .

الخاتمة

إن مما لا شك فيه أن أبا بكر قد وصل إلى السلطة في فترة حرجة من تاريخ الإسلام ، فقد توسعت الدولة الإسلامية في عصر الرسول بسرعة قياسية ، لتضم كل الجزيرة العربية سياسيا لا دينيا، دون أن يكون الوقت كافيا في حياة الرسول لتغلغل الدين في قلوب المسلمين وعقولهم ، فالانتشار الفعلي للإسلام كان بين سنتي 8-10هـ / 629-630 م أي في حوالي ثلاث سنوات ، وهي فترة لم تكن كافية للإعداد الفكري للأمة الإسلامية ، ولذلك كان أبو بكر وسط دوامة من الأحداث على رأسها الردة ، التي دعت بعض المؤرخين إلى وصف الجزيرة بأنها كافرة ، والأمر الثاني المهم هو غياب الشخصية التي كان المسلمون يتوحدون حولها ، ويخضعون لها ، باعتبارها شخصية مركزية تحظى بالقبول لدى أصحاب العقلية القبلية ، ولدى الفئة التي اعتنقت الإسلام أو تغلغل الإسلام بداخلها ، وتبلور في ذهنية المجتمع أن نمط القيادة الناجحة يرتبط بالقدرة على تمثل شخصية الرسول ومدى حيازتها لصفاته ، وقد أدرك أبو بكر منذ اللحظة الاولى هذا التوجه ، فقرر أن الخليفة الصحيح هو " الأملك لنفسه في حال الشدة ، والأسلس "في حال اللين ، والأعلم برأي ذوي الرأي ، ولا يتشاغل بما لايعنيه ، ولا يحزن لما ينزل به ، ولا يستحي من التعلم ، ولا يتحير عند البديهة ، قوي على الأمور ، لا يخور لشيء منها ضده بعدوان ولا تقصير ، يرصد لما هو آت عتاده من الحذر والظلم "[151] ، وأنه وكيل عن الرسول في القيام بالمهام الدنيوية لاستمرار الأمة والحفاظ على سيادة الشرع في المجتمع لتحقيق العدالة ، ولذلك نراه يرفض لقب خليفة الله ، الذي قد يوحي أن سلطة الخليفة امتداد للسلطة الإلهية على الأرض ، ويقر أنه خليفة رسول الله، مع التأكيد على إنقطاع الوحي بعد

الرسول ، كما طلب من الأمة عدم المبالغة في مطالبها من الخليفة ، لأنه يختلف كثيرا عن الرسول ، فالرسول قائد ديني إعتمد على الوحي في معظم الأمور الدينية ، وقائد بشري ، إعتمد على عبقريته وشخصيته القادرة على توحيد المجتمع وتوجيهه بالشكل الذي يريد، ولذلك نرى أبا بكر يؤكد أنه " متبع لا مبتدع "[152] . وأما المشكلة الثالثة فهي عدم وجود مؤسسات تعود إلى فترة الرسول ، سواء في الحكم أو الإدارة ، لأن قيادة الرسول إعتمدت بالأساس على فكرة الرجل العظيم، بينما أبو بكر يغير ذلك ، ليؤكد على أن المرحلة الجديدة تتطلب نظرية حكم القائد الأب [153]، الذي يمكنه الاستبداد برأيه عند الضرورة ، واعتماد الرحمة والعطف في علاقته مع الرعية ، لأنهم بمثابة أبنائه .

أصبح الإجماع على الخليفة أحد قواعد الفقه السياسي ، وكذلك أحد قواعد التشريع في الوقت نفسه ، فالأمة لا تجتمع على ضلالة أو خطأ [154] ، فقد أجمع المهاجرون والأنصار في السقيفة على أبي بكر ، لأنه شخصية مقبولة لدى الطرفين وجماعة المسلمين والصحابة ، ولأن لديه القدرة على وأد الفتنة ، والحفاظ على وحدة الأمة ، بالإضافة إلى قدرته على التعامل مع الظروف بسلوك هادىء ومتزن ، كما تجلى ذلك في تعامله مع حادثة وفاة الرسول ، واتزانه في التعامل مع الأنصار في السقيفة .

توجه المسلمون منذ اللحظة الاولى إلى ضرورة التأكيد على وجوب نصب الخليفة ، فقد أكد الطبري على أن المسلمين كرهوا أن يبقوا لبضع ساعات من دون خليفة بعد وفاة الرسول [155] ، ومن اللحظة الاولى خاطب أبو بكر المسلمين قائلا "لا بد لكم من رجل يلي أمركم ويصلي بكم ويقاتل عدوكم" [156] ، كما أن سرعة عقد إجتماع السقيفة ونتائجه تصب في هذا الاتجاه أيضا، لكن الخلاف بين المسلمين قد تمركز حول الوجوب بالعقل أو بالشرع أو بالعقل والشرع معا [157] ، ويتضح من سياق تطور الأحداث أن وجوبها بالعقل أولا ، فاندفاع الأنصار والمهاجرين إلى السقيفة لحسم القضية لم يكن نابعا من أمر ديني لهم ، بل إن وفاة الرسول قد استوجب خلق قيادة جديدة للحفاظ على الأمة ، ولم يستند المجتمعون في آرائهم وحججهم إلى أية آية قرآنية أو حديث ، ولكن بعد فترة قصيرة سرعان ما أصبح الوجوب بالشرع أيضا ، لأن الكثير من الأمور الدينية قد أصبح جزءاً من مهام الخليفة ، كتطبيق الشرع ، والجهاد ، والخطبة ، والصلاة بالمسلمين ، وأصبح الخليفة مركز هذه الأعمال ، فكان لا بد من خليفة لحراسة الدين وسياسة الدنيا [158] ، وكذلك لكف المعتدين ،وإنصاف المظلومين ، وأخذ الحقوق ، ولأن الخلق لا تصلح إلا بوجود خليفة أو حاكم أو سلطان ، يتجرد لحراستهم ،حتى قال بعض الحكماء " جور السلطان أربعين سنة ، خير من رعية مهملة ساعة واحدة " [159].

أقرت خلافة الصديق مبدأ الأفضلية في الحكم ،على أساس أن الخليفة ليس بالضرورة أن يكون أفضل أبناء المجتمع ، فعندما خطب أبو بكر الناس مؤكدا "بأني وليت عليكم ولست بخيركم"[160] ، فالخليفة إذا ليس إلا الشخصية الأكثر قبولا وشعبية

في المجتمع وخدمة الإسلام ، وأن الفترة الزمنية والظروف المحيطة بالأمة تلعب دورا رئيسا في أفضلية شخص على آخر، فعندما تكون الفترة ردة والأمة عرضة للإنقسام ، فالمجتمع بحاجة إلى شخصية قوية وموحدة ، ولذلك فالردة إقتضت تقديم الأرجح رأيا والأكثر عقلانية والأعنف سياسة ، كما في حالة الصديق الذي كان مناسبا للمرحلة التي كانت تمر فيها الأمة ، ولعل الرسالة التي كتبها إلى خالد بن الوليد بقتل كل من أنبت من رجال بني حنيفة الذين ارتدوا [161] ، وحرق المرتدين ومنهم الفجاءة – بجير بن إياس بن عبد الله السلمي – وإجلائهم ، وسبي نسائهم وأطفالهم لدلالة على ذلك [162] .

ويغيب في فترة أبي بكر الحديث عن إقرار طريقة لاستقالة الخليفة أو عزله أو محاسبته ، فقد منح الصديق الأمة الحق في المراقبة والتقويم [163] ، أو التقوية [164] ، ويكون ذلك من خلال النصح والإرشاد وإعادة الخليفة إلى الطريق الصحيح باللسان لا باليد ، فحق التغيير بالثورة أو القوة التي اعتبرت بالإسلام فتنة للأمة غير جائزة ، والأكثر من ذلك منع الخليفة من عزل ذاته أو الاستقالة دون موافقة الأمة ، فعندما تسلم الصديق السلطة طاف على الناس مدة ثلاثة أيام ينادي بأعلى صوته هل من مقيل ، فعندما لم يجبه أحد وجد نفسه مضطرا للاستقرار بالسلطة [165] ، كما تم التركيز على فكرة الطاعة للحاكم ، وربط طاعة الحاكم بطاعة الله ، ولكن من دون معصية [166] ، وإن عدم الإشارة إلى كيفية التعامل مع الخليفة الخارج عن القانون والشرع ، إشارة تدل بشكل واضح على أن فكرة التغيير بالقوة غير واردة .

لقد تم نفي صفة التقديس عن الخليفة منذ اللحظة الاولى ،خاصة أن المثل الأعلى للمسلمين وهو الرسول نفسه قد نفى عن نفسه أي شكل من أشكال التقديس ، سواء في حياته أم بعد مماته ، ولذلك نظر للخليفة من اللحظة الاولى باعتباره موظفا أعلى في الدولة فقط ، فتقرر ضرورة منحه راتبا أو مخصصا يكفيه هو وعياله .

وتختلف الظروف والأسباب التي دعت إلى إقرار ذلك بين من يجعلها لأسباب عاطفية وخرافية ، أو لأسباب عقلانية ومنطقية ، فدعاة الاتجاه الأول تبدو على تفسيراتهم السذاجة والبساطة وعدم وعي وإدراك ما يكتبونه ، حين أرادوا إظهار تواضع أبي بكر بعد توليه الخلافة ، بتأكيدهم أنه استمر في حلب أغنام جيرانه وأهل حيه ونزوله للاتجار كي يكفي عياله ، علما بأنه منذ اللحظة الاولى قد كان أكثر الناس إدراكا للخطر المحيق بالمسلمين والأمة ، وإن أي تراخ أو انشغال بأي أمر جانبي قد يؤدي إلى القضاء على الإسلام ودولة الرسول ، وهو أمر لا يتطابق مع رواياتهم ، وبذلك فإن فرض راتب يبدو أنه تنظيم منطقي وعقلاني ، يتجاوب مع تطور الأحوال والظروف الجديدة للأمة ، وأن أبا بكر نفسه هو في الحقيقة من طلب فرض راتب له ، وأن عمر وأبا عبيدة قد أقراه على ذلك ، وطالبا بضرورة ذلك ، حتى يستطيع التفرغ تماما للمنصب الجديد [167]، ومن هنا أصبح للخليفة راتب سنوي أسوة بغيره من موظفي الدولة .

وأخيرا يمكن القول أن وصول أبي بكر للسلطة قد قضى على فكرة الوصية ، وعلى فكرة وجود حق عائلي لجماعة معينة بالحكم ، ولذلك فإن المعارضة المتمثلة بعلي والزبير بن العوام ، قد ركزت جهودها في النقد للاجتماع منذ اللحظة الاولى على عدم مشاورتها في السقيفة ، لا على أحقيتها بناء على النسب أو القرب من الرسول أو الإرث ، كما كشفت خلافته وتطوراتها عن النوازع الانسانية في رغبة عدد كبير من أفراد المجتمع في الوصول إلى السلطة ، وأن الصراع بين المفاهيم القبلية والمفاهيم الإسلامية مازال في النفوس ، فالسابقة في الإسلام والإسلام نفسه لم يستطيعا الغاء إعتبار عناصر التجربة والسن ، والصفات الشخصية مؤهلات رئيسة للمرشح إلى السلطة .

كما يمكن القول إن الصفات الشخصية للخليفة ، وغياب المؤسسة في النظام السياسي الإسلامي ، واعتماد الرسول على شخصيته وإمكانياته الذاتية لتوحيد المجتمع ، قد كانت السبب الأساس في الصراع بين المسلمين على مؤسسة الخلافة ، وأن الرسول لم يتطرق من قريب أو من بعيد ، ولا بالتلميح ولا بالتصريح إلى مؤسسة الخلافة ، ولكن التطورات السريعة لهذه المؤسسة قد نجم عن إدراك المسلمين عقلا وشرعا بأن الرسول سوف يموت ، وأنه لابد من شخص يلي أمر الجماعة . وأن حقوق الأمة مربوطة بشخصية الحاكم ومدى رغبة الحاكم – الفرد – في منحهم هذه الحقوق ، فالعدالة مثلا منوطة برغبات الحاكم ونظرته . كذلك فإن عدم حديث الصديق عن فترة محددة للسلطة ، وعدم منح الأمة حق التغيير بالثورة أو القوة ، والتأكيد على الطاعة واتهام كل من لم يبايع بأنه صاحب فتنة ، قد أفسح المجال بداية إلى تأبيد

الخلافة ، إذ لا يجوز نزع الخليفة من السلطة ، وبالتالي إتاحة الفرصة بالتدريج إلى تغلغل فكرة الاستبداد، ودخول فكرة الوراثة ، وإلغاء فكرة الشورى والإنتخاب ، وترسيخ فكرة المهدي المنتظر أو المنقذ ، ودفع المجتمع إلى الخمول وانتظار شخصية خارقة قادرة على استخدام العنف والسياسة بشكل إيجابي ، وعدم اعتماد الأمة على قدراتها وإمكانياتها .

الحواشي

1- مسلم ، صحيح ، حديث رقم 2363 .
2- الطبري تاريخ ،ج 2، ص229 .
3- إبن العربي ، العواصم ، ص ،277 ، 314 / إبن عساكر، ج30 ، ص 269-270 .
4- إبن عبد البر ، ج3 ، ص 969-970.
5- Arnold ,Thomas , The Caliphate,p 19 .
6- صحيح مسلم 2363 ، ج4 ، ص ، 1836 / إبن حبان ، صحيح ، ج1 ، ص 201 / الدارقطني ، سنن ، ج1 ، ص 386 .
7- إبن قتيبة ، الامامة ، ص 6 / إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 297 / إبن الأثير ، أسد الغابة ،ج3 ، ص 336 .
8- الطبري ، تاريخ ،ج2 ، ص 229 .
9- الطبري ، تاريخ ،ج2 ، ص 243 /إبن قتيبة ،الامامة ، ص 7 ،12 .
10- الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص 243 .
11- المقدسي ، البدء ،ج5 ، ص 65 / إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 28 / إبن الجوزي ، المنتظم ، ج2 ، ص 65 .
12- الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص 242 / إبن قتيبة ، الامامة ، ص 9 .
13- إبن قتيبة ، الإمامة ، ص 7 ، 12 .
14- الطبري ، تاريخ ،ج2 ، ص 242 / المقدسي ، البدء ، ج5 ، ص 65 .
15- – إبن قتيبة ، الامامة ، ص 10/ إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص285 / إبن الجوزي ، المنتظم ، ج4 ، ص 65 / الشيباني ، الإكتفاء ، ج2 ، ص 355 .
16- 16- الشيباني ، الإكتفاء ، ج2 ، ص 355 .
17- 17- إبن العربي ، العواصم ، ص 277 .
18- – سورة التوبة ، آية 119 .
19- إبن سعد ،الطبقات ، ج3 ، ص 159 / إبن عساكر ، تاريخ ،ج30 ، ص 278 / البيهقي ، الاعتقاد ، ص 200 / الشامي الصالحي ، سبل الهدى والرشاد ، ج11 ، ص 258 .

20- الشيباني ، الاكتفاء ، ج2 ، ص 355 .
21- إبن قتيبة ، الامامة ، ص10 ، 13.

22- إبن سعد ،الطبقات ، ج3 ، ص 135-136 / إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 275 .
23- اليعقوبي ، تاريخ ، ج 2 ، ص 123 / إبن قتيبة ، الإمامة ، ص 13 .
24- اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ، ص 123 / الطبري ،تاريخ ،ج2 ، ص242 / الماوردي ،الأحكام ،ص6 .
25- إبن سعد ، الطبقات ، ج3 ، ص 136 .
26- سورة الأنبياء ، الآية 22 ،
27- إبن الأثير ، أسد ، ج3 ، ص 338 .
28- الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص 243 .
29- اليعقوبي ، تاريخ ،ج2 ، ص 123/ الطبري تاريخ ، ج2 ،ص 243 / إبن قتيبة ، الإمامة، ص12 .
30- إبن هشام ، السيرة ،ج4 ، ص 219 / الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص 235 / إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 279 ، 282 / إبن خلدون ، تاريخ ،م1 ، ص 343 .
31- الشيباني ، الإكتفاء ، ج2 ، ص 355 .
32- الماوردي ، الأحكام ، ص6 / الغزالي ، الإقتصاد ، ص 217 .
33- الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص 234 / إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 273 .
34- إبن منظور ، لسان العرب ، ج12، ص 141 .
35- الطبري ، تاريخ ،ج2 ، ص 243 .
36- الشيباني ، الإكتفاء ،ج2 ، ص 358 .
37- إبن خلدون ، تاريخ ، م1 ، ص344-346.

38- صحيح مسلم ،ج3 ، 1415 – 1452 / الترمذي ، سنن الترمذي ، ج4 ،ص 501 ، 503 /، إبن أبي شيبة ،مصنف بن أبي شيبة ،ج6 ، ص 194 ، 401 ، 402- 403 / أبو عوانة ، مسند أبي عوانة ، ج4 ،ص 368-374 .

39- إبن هشام ، السيرة ،ج4 ، ص218 / الباقلاني ، التمهيد ، ص 471 / إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 280 .

40- الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص 235 / إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 279 ، 283 .

41- – إبن قتيبة ، الإمامة ، ص 13 .

42- الجاحظ ، العثمانية ، ص 24 / السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج2 ، ص60 .

43- المحب الطبري ، المناقب النضرة ،ق1، ص 48/ إبن الأثير ،أسد الغابة ، ج3 ، ص 316 / إبن عبد البر ، الإستيعاب ، ج3 ، ص 966 .

44- إبن سعد ، الطبقات ، ج3 ، ص 128 / إبن الأثير ، أسد الغابة ، ج3 ، ص 317 .

45- المحب الطبري ، المناقب النضرة ، ج1 ، ص 46 .

46- إبن سعد ، الطبقات ، ج3 ، ص 128 .

47- إبن الأثير ، أسد الغابة ، ج3 ، ص 333 .

48- إبن سعد الطبقات ، ج3 ، ص 130/ إبن الأثير ، أسد الغابة ، ج3 ، ص 324 .

49- إبن سعد ، الطبقات ، ج3 ، ص 132 .

50- سورة التوبة ، الآية رقم 40 .

51- إبن الأثير ، أسد الغابة ، ج3، ص 330 .

52- إبن الاثير ،اسد الغابة ،ج3 ، ص 330 .

53- إ بن سعد ، الطبقات ، ج3 ، ص 137 /إبن أبي الحديد ، نهج ، م1 ، ص 137 .

54- إبن عساكر ، كنز العمال ، ص 429 / السيوطي ، جامع ، ج24 ، ص 331 .

55- إبن خلدون ، تاريخ ، م1 ، ص 370 .

56- إبن جماعة ، تحرير، ص 358 .

57- المقدسي ، البدء ، ج5 ، ص 67 .

58- إبن سعد ،الطبقات ،ج3 ، ص136 ، 159 / اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ، ص 127 / إبن الجوزي ، المنتظم ، ج4 ، ص69 .

59- الباقلاني ،التمهيد ، ص468 .

60- إبن الجوزي ، المنتظم ، ج4 ، ص 71-73 .

61- الطبري ، تاريخ ،ج2 ، ص 244 / إبن قتيبه ، الإمامة ، ص 14 / إبن الجوزي ، المنتظم ، ج4 ، ص 67-68 / السيوطي ، جامع ، ج24 ، ص 375 .

62- الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص233 ، 234 .

63- اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ، ص 133 .

64- إبن قتيبة ، الإمامة ، ص 15.

65- المصدر نفسه ، ص 14- 15.

66- إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 277 .

67- اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ، ص 125-126 .

68- الباقلاني ، الإعتقاد ، ص200 .

69- محمد بن فتوح الحميدي ، الجمع بين الصحيحين ، ج1 ، ص 87 .

70- المصدر نفسه ، ص 86 .

71- إبن قتيبة ، الإمامة ، ص 15 .

72- المسعودي ، مروج ، ج2 ، ص329 / الباقلاني ، التمهيد ، ص 458 / البيهقي ،الإعتقاد ، ص 201 / الشيباني ، الإكتفاء ، ج2 ، ص 359 ،

73- الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص 237 / إبن عبد البر ، الإستيعاب ، ج3 ، ص 974 .

74- المقدسي ، البدء ، ج5 ، ص 66 / الشيباني ، الإكتفاء ،ج2 ، ص 342 / إبن العربي ، العواصم ، ص315 .

75- إبن الأثير ، أسد الغابة ،ج3 ، ص 339 .

76- إبن خلدون ، تاريخ ،ج1 ، ص 395-396 .

77- سورة الشورى ، الآية 38 .

78- سورة آل عمران ، الآية 159 .

79- صحيح مسلم ، ج4 ، ص 1836 .

80- إبن حبان ، صحيح ، ج1 ، ص 201/ الدارقطني ، سنن ، ج1 ، ص 386 .

81- إبن عساكر ، تاريخ ،ج30 ، ص 328 .

82- السيوطي ، جامح ،ج24 ، ص 363 .

83- إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 328 .

84- اليعقوبي ، تاريخ ،ج2 ، ص132 .

85- البلاذري ، فتوح ، ص 103- 105.

86- اليعقوبي , تاريخ ,ج2 , ص 132-133 .
87- إبن عساكر , تاريخ ,ج30 , ص 328 .
88- إبن الأثير , أسد الغابة ,ج4 , ص 179 .
89- إبن عساكر، تاريخ ، ج30 ، ص 328 .
90- الماوردي ، الاحكام ، ص 10 .
91- الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص 580.
92- القلقشندي ، مآثر ، ج1 ، ص 22 .
93- الدوري ، النظم الإسلامية ، ص30 .
94- الباقلاني ، كتاب تمهيد الأوائل ، ص 467 .
95- القلقشندي ، مآثر ، ج1 ، ص 22 .
96- الفراء ، الأحكام ، ص 24 / الباقلاني ، كتاب تمهيد الأوائل ، ص 467 .
97- إبن شبة ، تاريخ،ج1 ، ص 352 / إبن ربن الدين الطبري ، الدين والدولة ، ص 115 / اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ، ص 137"/ إبن الجوزي 597هـ ، سيرة ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ص53 .
98- إبن شبة ، تاريخ ، ج1 ، ص 353 /الطبري ، تاريخ ،ج2 ، ص 352-353 / إبن أبي الحديد ، نهج البلاغة ، ج1 ، ص 143-144 / الدوري ، النظم ، ص 32 .
99- إبن شبة تاريخ ،ج1 ، ص 354 / إبن سعد ،الطبقات ، ج3 ،ص 149 / الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص353 / ابن الجوزي ، سيرة مناقب ، ص 53 ، 55 / إبن الأثير ، أسد الغابة ، ج4 ، ص 179 .
100- إبن قتيبة ، الإمامة ، ص15
101- Wilfred , The Succession , p3
102- الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص 580 .
103- إبن جماعة ، تحرير ، ص 356 .
104- الطبري ، تاريخ ،ج 2 ، ص 353 / خير الدين يوجه سي ، تطور ، ص 147-148 .
105- إبن جماعة ، تحرير ، ص 356 .
106- إبن شبة ، تاريخ ، ج1 ، ص 354 / خير الدين يوجه سي ، تطور ، ص 40 .
107- الماوردي ، الأحكام ، ص 10 / الفرا ، الأحكام ، ص 25 .

108- إبن شبة ، تاريخ ،ج1 ،ص 354 / ابن سعد ، الطبقات ، ج3 ، ص 149 / إبن قتيبة ، الإمامة، ص 22 / إبن أبي الحديد ، نهج ، ج1 ، ص 144 / إبن الأثير ، أسد الغابة ، ج4 ، ص 178 .
109- سورة التوبة الآية 40 .
110- سورة الأنبياء الآية 101 .
111- سورة المائدة الآية 54 .
112- سورة الحديد الآية 10 .
113- سورة النساء الآية 69 .
114- الصالحي الشامي ، سبل الهدى ، ج11 ص 246 .
115- العشاري، فضائل، ص25 ،31 /المحب الطبري،المناقب ، ج1، ص49 / إبن حجر، الإصابة ،ج4 ، ص 172 .
116- العشاري ، فضائل ، ص 42 .
117- العشاري ، فضائل ، ص79 .
118- إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 61 .
119- الصالحي الشامي ، سبل الهدى ، ج11 ، ص 252 .
120- إبن حجر ، الإصابة ، ج4 ، ص 173.
121- العشاري ، فضائل ، ص31 .
122- الأصفهاني ، الإمامة ، ص 241
123- العشاري ، فضائل ، ص 26 .
124- العشاري ، فضائل ، ص 31 .
125- المصدر نفسه ، ص 43 .
126- العشاري ، فضائل ، ص 56 / إبن سعد ، الطبقات ، ج3 ، ص 130 / إبن الأثير ، أسد ، ج3 ، ص 329 .
127- الباقلاني ، التمهيد ، ص 460 .
128- إبن العربي ، العواصم ، ص 316 .
129- الأصبهاني ، حلية ، ج1 ، ص 33 .
130- الصالحي الشامي ، سبل ، ج11 ، ص256 .
131- العشاري ، فضائل ، ص 21 .

132- العشاري ، فضائل ، ص 22 .

133- السيوطي ، جامع ، ج21 ، ص254 .

134- المحب الطبري ، الرياض ، ج1 ، ص 52 .

135- إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 31-32 /إبن الأثير ، أسد ، ج3 ، ص 319-320 .

136- إبن الجوزي ، المنتظم ، ج4 ، ص 61/ السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 43-44 .

137- الجاحظ ، العثمانية ، ص 24 / الباقلاني ، تمهيد ، ص459 / إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 14 ، 15 ،36 / إبن حجر ، الإصابة ، ج4 ، ص171 /السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج2 ، ص60 / الصالحي الشامي ، سبل ، ج11 ، ص 251 .

138- الجاحظ ، العثمانية ، ص25 .

139- إبن عبد البر ، الإستيعاب ، ج3 ، ص316 /إبن حجر الإصابة ، ج4 ، ص 174 / السخاوي ، التحفة اللطيفة ، ج2 ، ص 60 .

140- الجاحظ العثمانية ، ص 3 /البيهقي ، الإعتقاد ، ص 194 ، تمهيد ، ص 460 / إبن الأثير ، أسد ، ج3 ، ص 317 / السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 44-45 / الصالحي الشامي ، سبل ، ج11 ، ص 255 .

141- إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص47 .

142- البخاري ، الأحاديث رقم 3455 ، 3456 ،،3458 ، 3461 / العشاري ، فضائل ، ص21 / الباقلاني ، الإنصاف ، ص61-62 / إبن عبد البر ، الإستيعاب ، ج3 ، ص965 /البيهقي ، الإعتقاد ، ص 194 .

143- الباقلاني ، تمهيد ص 456 / إبن عساكر، تاريخ ، ج30 ، ص 14 /إبن الأثير ، أسد ، ج3 ، ص 331 ، 333 .

144- الجاحظ ، العثمانية ، ص30-38 / الباقلاني ، تمهيد ، ص456 /إبن حجر ، الإصابة ، ج24 ، ص17 .

145- إبن سعد الطبقات ، ج3 ، ص 133-134 ، 136 / اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ص 123 /الطبري ، تاريخ ، ج2 ص 230 ، 231 ، 243 / إبن قتيبة ، الإمامة ، ص 10 / الشيباني ، الإكتفاء ، ج2 ، ص 355 .

146- الجاحظ ، العثمانية ، ص3 /السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 39 - 40 .

147- البخاري ، حديث رقم 3459 / البيهقي ، الإعتقاد ، ص 193 / إبن العربي ، العواصم ، ص315 .

148- الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص 235 .

149- العشاري ، فضائل ، ص 31 / إبن قتيبة ، الإمامة ، ص 10 /إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 15 / إبن الأثير ، أسد ، ج3 ، ص330 / الصالحي الشامي ، سبل ، ج11 ، ص 254 .

150- إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 271 .

151- إبن شبة ، تاريخ ، ج1 ، ص 353 .

152- الطبري ، تاريخ ، ج2 , ص 245 .

153- البلاذري ، أنساب ، ج10 , ص 57 .

154- اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ، ص 125 / البيهقي ، الإعتقاد ، ص 202 .

155- الطبري ، تاريخ ، ج2 ، ص 236 .

156- إبن قتيبة ، الإمامة ، ص 22.

157- الغزالي ، الإعتقاد ، ص 213 / إبن خلدون ، تاريخ ، م1، ص 339 .

158- الماوردي ، الأحكام ، ص5 .

159- إبن جماعة , تحرير ، ص 355 .

160- ابن ربن الدين الطبري ، الدين والدولة ، 116 / اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ص 127 / الطبري ، تاريخ ، إج2 ص 238 / إبن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، ص 302 ، 303 ، 304 .

161- خليفة بن خياط ، تاريخ ، ص 110 .

162- البلاذري ، الفتوح ، ص104-109 .

163- اليعقوبي ، تاريخ ، ج2 ص 127 /الطبري تاريخ ج2 ص 238 .

164- إبن ربن الطبري ، الدين والدولة ، ص 116 .

165- إبن ربن الطبري ، الدين والدولة ، ص 115 / العشاري ، فضائل ، ص 41 / الباقلاني ، الإنصاف ، ص 62 / ابن عساكر ، تاريخ ، ج30 ، 305 ن 306 / الشيباني ، الاكتفاء ، ج2 ص 359 .

166- القزويني ، صحيح سنن إبن ماجة ن م2 ص 409-411 " / إبن عساكر تاريخ ، ج30 ، ص 335 / إبن جماعة ، تحرير ، ص 356 .

167- إبن سعد ، الطبقات ، ج3 , ص 137-139 .

المصادر والمراجع

1 - القرآن الكريم

2- إبن الأثير ، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم 630 هـ/ 1232م)

أسد الغابة في معرفة الصحابة ، 8ج ، ط1 ، تحقيق عادل أحمد الرفاعي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنتن ، ص 1996

3- الأصبهاني ، ابو نعيم بن مهران الأصبهاني 430 هـ

الإمامة والرد على الرافضة ، تحقيق علي الفقيهي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة السعودية 1994

4- الباقلاني محمد بن الطيب بن جعفر البغدادي 275هـ

كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، www. Almostafa .com .

الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، ط2 ، تحقيق محمد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، 2000 .

5- البلاذري ،أحمد بن يحيى بن جابر 279 هـ /892 م

كتاب جمل من أنساب الأشراف ،13ج، ط1، تحقيق سهيل زكار ،رياض زركلي ،دار الفكر ، بيروت ، 1996 .

فتوح البلدان ، تحقيق رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1983 .

6_ البيهقي أحمد بن الحسين 458 هـ

الإعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة ، تصحيح جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1984 .

7- الترمذي محمد بن عيسى بن سورة 279 هـ

سنن الترمذي ،5ج ، تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د . ن .

8- الجاحظ ابو عثمان عمر بن بحر 255 هـ/ 869 م

كتاب العثمانية ، ط1 ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، 1991 .

9- إبن جماعة ، محمد بن إبراهيم بن سعد الله الشافعي 733هـ

تحرير الأحكام في تدبير أهل الاسلام ، مجلة ليبزج ، عدد 1 ، 1934 ، ص353- 414 .

10- إبن الجوزي 597هـ ، سيرة ومناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، تحقيق حامد الطاهر ، القاهرة ، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع ، 2004

11- إبن حبان محمد بن حبان البستي 354 هـ / 965 م

صحيح إبن حبان ،18ج ، ط2 ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، 1993 .

12- إبن حجر 852 هـ

الإصابة في تمييز الصحابة ، 8 ج ـ تحقيق علي البجاوي ، دار الجيل بيروت لبنان 1992 .

13- إبن أبي الحديد

شرح نهج البلاغة ، م1 ، مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، 1963 .

14-إبن خلدون 808 هـ /

تاريخ ابن خلدون 14ج ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة , بيروت , لبنان ، د, ت .

15- خليفة بن خياط 240 هـ

تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق اكرم ضياء العمري ، دار القلم ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، بيروت ، 1397 هـ .

16- خير الدين بوجه سوي

تطور الفكر السياسي عند أهل السنة ، ط1 ، دار البشير للنشر والتوزيع ، عمان , الاردن , 1992 .

17- الدارقطني 385

سنن الدار قطني ، تحقيق عبدالله المدني ، دار المعرفة ،بيروت ، 1966 .

18- الدوري عبد العزيز

النظم الاسلامية ، بيت الحكمة ، بغداد ، 1988 .

19-السخاوي 902 هـ

التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، 2 ج ن ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1993 .

20- إبن سعد :

الطبقات الكبرى ، ج3 ، ط1 ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ن بيروت ، لبنان ، 1990 .

21 - السيوطي جلال الدين 911 هـ /

تاريخ الخلفاء ، ط1 ، ضبط عبدالله المشناوي ، مكتبة الايمان ، المنصورة ، مصر ، 2003 .

22- ابن شبة ابي زيد عمر بن شبة النميري البصري 262هـ /
تاريخ المدينة المنورة ، 2ج , ط1 ، تعليق علي محمد دندل ، ياسين سعد الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1996 .

23- الشيباني
الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، ط1 ن تحقيق كمال عز الدين ، عالم الكتب ، بيروت ، 1417 هـ .

24- إبن أبي شيبة الكوفي 235 هـ
مصنف بن أبي شيبة ،7ج ،ط1 ، تخقيق كمال الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، 1409 هـ .

25- الصالحي الشامي

سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله واحواله في المبدأ والمعاد ، 31 ج ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1993 .

26- الطبري ، علي بن ربن
الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، تحقيق عادل نويهض ، دار الآفاق الجديد ، بيروت ، لبنان ن 1973 .

27- الطبري محمد بن جرير 310 هـ /
تاريخ الامم والملوك ، 5ج , ط1 , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان , 1987 .

28- الطبري المحب أبو جعفر
الرياض النضرة في مناقب العشرة ، 2ج ، ط1 ، تصحيح محمد بدر النعساني ، الاستانة ومصر ، يطلب من محمد امين الخامجي وشركاه , د .ت .

29- إبن عبد البر 463 هـ
الإستيعاب في معرفة الأصحاب ، 4ج ، ط1 ، تحقيق علي البجاوي ، بيروت ، لبنان ، دار الجيل ، 1412 .

30- إبن عساكر 571هـ
تاريخ مدينة دمشق ،85 ج ، ط1 ، ج30 تحقيق علي شكري ، بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر ، د .ت .

31- العشاري 451 هـ
فضائل ابي بكر الصديق ، ط1 ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ن 1993 .

32- أبو عوانة 316 هـ
مسند أبي عوانة ، 5ج ، ط1 ن ، تحقيق ايمن الدمشقي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، د.ن .

33- الغزالي
كتاب الاقتصاد في الاعتقاد ، تقديم عادل العوا ، دار الأمانة ، دمشق ، د . ن .

34- الفرا ، ابويعلي 458 هـ
الأحكام السلطانية للفرا ، تعليق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2000 .

35- إبن قتيبة 276 هـ /
الامامة والسياسة ، 2ج ، ط1 ، تعليق وحواشي خليل المنصور , دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1997 .

36- القزويني 275 هـ
صحيح سنن إبن ماجة ،م2 ، ط1 ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض 1997.

37- القلقشندي أحمد بن علي 821 هـ
مآثر الاناقة في معالم الخلافة ،3ج ـ ط3 ، تحقيق عبدالستار فراج ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1985 .

38- الماوردي علي بن محمد بن حبيب البصري 450 هـ
الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت , لبنان , د , ت .

39- المسعودي ، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ت 346 هـ /
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، 4ج ، ط1 ، شرح مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1986 .

40- مسلم بن الحجاج 261 هـ
صحيح مسلم ،5ج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، د . ن .

41- المقدسي المطر بن طاهر المقدسي 355هـ/
كتاب البدء والتاريخ ، ج5 ، باريز ، 1916 .

42- ابن هشامابي محمد عبد الملك بن هشام 212هـ /
السيرة النبوية ، 4ج ، ط2 , دار الفجرللتراث ، القاهرة ، 2004 .

43- اليعقوبي أحمد بن واضح 282 هـ
تاريخ اليعقوبي 2 ج ، ط6 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1995 .

المراجع الاجنبية

– Arnold , Thomas ;

The Caliphate ,Routledge&Keganpaul LTD , London , 1967 .

–Madelung ,Wilfred:

The Succession to Muhammed ,Astudy of the Early Caliphate ,
Cambridge University Press , New York , 1997 .